
روايات مصرية للجيب
مكتبة
TELEGRAM NETWORK
2020
25
أسطورة
ما وراء الطبيعة
الجنرال العائد


TELEGRAM
NETWORK
TELEGRAM
NETWORK

مقدمة

أنا د. (رفعت إسماعيل) الذي أفنى سبعين عامًا من عمره - تقريبًا - مع قصص الأشباح، جوار توابيت مصاصي الدماء الذين يصحون دائمًا حين لا تريد ذلك، ومع المذءوبين الذين يتحوّلون دائمًا حين لا تتوقع ذلك، ومع لعنات سحرة الماضي التي تطاردك دائمًا حين لا تنتظر ذلك..

يا لها من حياة حافلة تلك التي عشت...!

أرى ـ كما في كلّ مرّة ـ وجوهًا جديدة لم أسعد بلقائها بعد.. ويبدو أن منها وجوه من بلغوا سن القراءة فجأة.. ومنها وجوه من عادوا إلى القراءة فجأة.. ووجوه من كانوا

يعتبرونني سخيفًا ثم عدلوا عن رأيهم فجأة...

المهم أن تزداد الوجوه من حولي لأن هذا يسعد قلبي الشيخ وألا تقل الوجوه الآن.... لحظة! هناك وجهان ليسا هنا هذه المرّة! ابحثوا عنهما من فضلكم فأنا أمقت أن أفقد واحدًا من قرائي.. ابحثوا بدقة..

آه!.. هاهما ذان.. أين كنتما أيها الشيطانان؟ لا تعابثا الشيخ (رفعت إسماعيل) ثانية، فهو في سن لا يتحمل الدعابات القاسية..

اليوم أحكي لكم قصة (المزييرة)...

ولكن.. لماذا أنتم غاضبون؟ تقولون إنني لم أستكمل قصة (إيجور) بعد؟ لكني أكملتها.. لم يحدث؟ حقًّا؟

معذرة.. لقد نسيت.. لكني في هذه المرّة لن أكرر ما حدث مع قصة (النافاراي)، فقد أثار هذا عاصفة من الحنق حولي لم تهدأ بعد.. سأحكي لكم باقي القصة (وهي ما زالت ساخنة) إن صح التعبير.. أين كنا قد وصلنا؟..

آه! تذكرت.. حكاية (إيجور) بعد ما نزح إلى (مانهاتن)، وأحب وأضاع حبّه.. ثم انتقامه المروع ممن سلبه حبيبته..

كان هذا في عام ١٩٥٣ حين كان (إيجور) في السادسة عشرة من عمره..

دعونا نواصل القصة إذن.. ولكن سأكتب قبلها صفحة أو اثنتين كي نتذكر ما حدث في الكتيب الأول.....

فلننعش ذاكرتنا!

مولود في (بولندا - وارسو) عام ١٩٣٧، وابن لأبوين بارين يعيشان حياة هادئة.. هذا هو (إيجور تاركوفسكي) بطل قصتنا..

النازي يستولي على (وارسو).. الجنرال السفاح (سيدلتز جابلر) يزيل قطاعًا كاملًا من المدينة من الوجود.. في وسط النيران، والصخب يفقد (إيجور) - ابن السنوات الخمس - أسرته ووعيه، ويتم إنقاذه من تحت الرماد الملتهب، قد صار إنسانًا جديدًا...

وينزح الصبي مع العم (أندريه) إلى العالم الجديد (أمريكا) فارين من (بولندا)

التي تحولت إلى جحيم حقيقي، لكنّ (أندريه) السكير العجوز البائس لا يعيش في (أمريكا) كثيرًا لأنّه بلغ لحظة النهاية..

وهنا يجيء دور أبوين بالتبني يكفلان اليتيم البولندي الصغير، لكنّ دون حب حقيقي.. مجرد الحاجة إلى أن يكون لديهما طفل..

ويدرك (إيجور) أن القليلين جدًا يحبونه أو يرحبون به..

فهو يملك موهبة لا يدري كيف ظهرت فجأة.. إنّه قادر على اختراق أذهان الآخرين وسماع أفكارهم بوضوح تام.. لكنّ هذا يظل سرّه الذي لا يصارح به أحدًا...

وكالعادة يبدأ بعض الصبية في التحرش به.. فهو أجنبي ضعيف حساس هش، ويكون عقابهم له فريدًا: عليه دخول المنزل المسكون لآل (كيلي) وقضاء ليلة كاملة فيه..

ويقبل الصبي التحدي ويدخل البيت؛ ليفاجأ بأن أسرة (كيلي) ما زالت هناك في صورة شبحين يبحثان عن قاتلهما...

هكذا يتم التعاون بين (إيجور) وبينهما، هما يثيران الرعب في قلوب عصابة الصبية، وهو يتصل بالشرطة تقبض على قاتل الزوجين الذي مازال حيًا وحرًا.

وهنا ندرك حقيقة مهمّة.. أن كل الأشرار في العالم هم ـ بالنسبة لـ (إيجور) - صورة مكررة من الجنرال السفاح (جابلر)..

* * *

بعد أعوام ستة قابلنا (إيجور) طالبًا في المدرسة الثانوية، وقد بدأ الحب يتحرك في قلبه المراهق تجاه (جلاديس)...

لكن (جلاديس) تتبدل.. لأن هناك من يدعي (هاري كارلسون)، وهذا الـ (هاري) من الطراز الذي لا تستطيع فتاة أن تقاومه..

لكن (هاري) يملك مزية أخرى: إنّه نذل كبير.. وبمجرد أن يستوثق من أن الفتاة قد هامت به حبًا يتخلى عنها، غير مبال بأنه هشم روحها الحساسة للأبد..

يا للشقاء! يصمم (إيجور) على الانتقام ويدعو (هاري) إلى مبارزة من نوع خاص جدًا.. مبارزة بالسم..، ويوافق (هاري) الذي لم يرفض تحديًا في حياته كلها..

لكن (إيجور) يتلاعب به، ويتضح أن القارورتين خاليتان من السم، لكنّ قوة الإيحاء غير العادية لـ (إيجور) تجعل (هاري) يشعر بالسم يمزق أحشاءه ويملأ الدنيا صراخًا... ويغدو مهرج المدرسة وموضع سخريتها..

إن الشر والقسوة هما عدوا (إيجور).. وهو قادر دومًا على أن يرى في كل شرير قاس وجه عدوه (جابلر)..

ترى هل يلتقى الشتيتان؟..

هل يبدأ الصراع الذي انتظر كل هذه الأعوام؟..

من هنا يبدأ الجزء الرابع من قصتنا..

* * *

الجزء الرابع

(مانهاتن) - ١٩٦٠

- ١٠ -

أدار البروفسور (شلوفسكي) جهاز التسجيل، فانبعث الصوت الهادئ للبكرتين إذ تدوران بتؤدة.. ثم عبر الغرفة ليدير جهازًا آخر راح يبعث خلفيّة هادئة للمحادثة.. موسيقا رخيمة سماويّة..

سأل (إيجور) بالبولندية:

- «هل تحب (موتسارت)؟»

رد (إيجور) وهو يسترخي على الأريكة مغطيًا عينيه بظهر كفه:

- «أفضل (البيتلز).. وأرجو ألا تعتبر هذا دلالة على ضحالة ثقافتي..»

أشعل الرجل غليونه، وراح يُطلق الدخان في دفعات قصيرة متتالية.. ثم غمغم:

- «بف ف ف!.. بالعكس.. الموسيقا بالذات.. ف ف! لا تحتاج إلى أي تحيزات مسبقة ولا يمكن أن ترغم أذنك على أن تحب (موتسارت) لمجرد أنه (موتسارت) بف ف ف!»

لكنه لم يغير اللحن برغم كل هذا..

جلس على الأريكة مسترخيًا وهو يجذب الدخان في نهم.. وتساءل واضعًا ساقًا على ساق:

- «الآن ما هي تطورات حالة الصرع هذه؟»

قال (إيجور) وهو ينظر إلى السقف:

- «لا جديد.. إنها تحدث كل أسبوعين كما كانت في البداية.. هناك هذا التوجس والشعور بقدوم كارثة.. ثم.. ثم الشعور بأن ذراعي وقدمي تتحرران من سيطرتي..، ويتبدل العالم من حولي.. كل الأضواء تسطع أكثر من اللازم.. حتى الهمس يغدو عاليًا مرهقًا للسمع، ثم يسود الصمت.. صمت ثقيل كئيب أشبه بالصمت الذي ساد الكون بعد الطوفان.. والظلام.. الظلام البكر الأولى من قبل خلق الكون ذاته..».

- «وحين تفيق؟»

- «الصداع... كما في كلّ مرّة.. الصداع...»

كانا يتحدثان البولندية.. فكلاهما بولندي يقيم في الولايات المتحدة، وكلاهما يشعر

بالراحة عند استعمال لغته الأصلية كأنما يجرب حذاء قديمًا مريحًا اعتادته قدماه ثم لفظه واستعمل حذاءً جديدًا ضيقًا..

قال البروفسور (شلوفسكي) وهو يتأمل (إيجور) مليًا:

- «(إيجور).. أنت الآن شاب ناضج في الثالثة والعشرين.. ويمكنك أن تفهم ما أقول، لقد رأيت تقرير المختص في الأمراض العصبية، وعرفت أن رسم المخ الخاص بك سليم تمامًا، كما أنّ أشعة المخ والدماغ طبيعية ولا غبار عليها، وهذا يعود بنا إلى ما قلته لك.. الهستيريا.. تفاعل الهروب من ضغوط خارجية لا مفر منها بالنسبة لك.. أعنى أن مرضك نفسي تمامًا وليس صرعًا على الإطلاق..»

همس (إيجور) وهو يعيد تغطية عينيه:
- «نفسي؟ ولماذا؟ لا توجد لديَّ مشاكل نفسية...»
قاطعه البروفسور في عصبية:
- «حينما يقول لي مريض إنّه فقد أباه وأمه في الحرب أمام عينيه، وهاجر من وطنه إلى وطن يمقته الجميع فيه، عندما يقول لي: إنّه دون مشاكل نفسية فإنني أتهمه بالسخف!»
- «ولكن.. لماذا الآن بالذات؟»
- «لأن الضغوط وصلت ذروتها الآن بالذات..»
وفي أعماق ذهنه سمع (إيجور) البروفسور يغمغم في نفاد صبر:

«هلمّ أيها الأحمق.. لن أقضي اليوم معك ها هنا.. أخرج ما بأعماق عقلك الباطن الخرب هذا.. ألق بكل القاذورات والقطط المتعفنة وأمعاء الخنزير على مائدتي.. ثم انصرف مستريحًا مطمئنًا إلى نظافة روحك..!»

قال (إيجور) وهو يجلس بعد وضع الرقاد الذي أرهقه:

- «لكي أخرج ما بروحي من قاذورات، يجب أولًا أن أعرف مكانها!»

- «هذا ما نحاول عمله الآن..»

وفي سرّه تساءل البروفسور:

«كيف عرف مصطلح القاذورات هذا؟ هووم.. صدفة غريبة حقًّا.. كأنما كان يصغي لأفكاري!»

لدهشته رأى (إيجور) يبتسم بسمة ذات معنى، رآه ينهض في تؤدة إلى جهاز التسجيل ليغلقه.. ثم يعود إلى الأريكة ليقول له وهو يبتسم ذات البسمة الغامضة:

- «هذا صحيح..»

- «ما هو الصحيح؟»

- «إنني أصغي لأفكارك حقًّا.. وهذه هي مأساتي..»

❋ ❋ ❋

هذه المرّة قضيا ساعتين في الكلام...

كان البروفسور يعرف أن كل هذا ممكن؛ فهو على قدر من الثقافة والعلم جعلاه يقرأ الكثير من القصص المماثلة.. لكنه لم يتوقع

قط أن يلقى أحد هؤلاء الذين سمع عنهم..، والمعجزة التي لا توصف.. معجزة أن تجد أدق أفكارك على لسان الآخرين بمجرد أن تفكر فيها...

- «كيف تسمع الأفكار؟ كيف تبدو لك؟»

تنهد (إيجور):

- «أسمعها كأنما صاحبها يتكلم في رواق واسع.. الصدى يتردد في كل مكان.. لكنّ صوته يكون مميزًا وواضحًا..»

- «والرؤى؟.. هل ترى صورًا معينة؟»

- «أحيانًا.. وأحيانًا ما أرى صور ذكريات تتتابع هناك كأنها في فيلم سينمائي قديم..»

ثم أردف بعد هنيهة صمت:

- «الآن ستقول لي: إن كل هذا غريب ومخيف يا (إيجور)!»

- «.........!»

- «هل تصدقني؟»

- «أصدقك.. عليّ اللعنة لو لم أفعل» - قالها في نفاد صبر - «لكني مذهول.. كما أصدق أنني سأموت.. لكنّ الذهول سيغمرني ساعة الاحتضار..»

بعد هنيهة قال البروفسور وهو يعيد إشعال غليونه:

- «طبعًا كل هذا سر بيننا.. بف ف ف! ما دمت قد أغلقت جهاز التسجيل.. لكنّ هذا الموضوع أكبر مني.. نحتاج إلى خبرة مختصة في علوم (الباراسيكولوجي)..

نحتاج إلى آراء الفسيولوجيين وعلماء الأمراض العصبية.. ف ف ف!»

- «وهل تقترح أحدًا كبداية؟»

❋ ❋ ❋

.. وهل يوجد غير د. (إدوارد مالكولم)؟

إن هذا الرجل ـ الذي هو شاب في الثلاثين من عمره في الواقع ـ لحُجة في علوم (القدرات الإنسانية الخارقة) أو ما يُسمّى في لغة العصر بـ (الإدراك الفائق للحواس)، له عدة مقالات كلاسيكية في (التخاطر)، كما أنه مهتم إلى حد كبير بالأحلام، وميكانزمات النوم، وقد أعد ـ بمعونة الجامعة ـ معملًا صغيرًا لدراسة هذه الظواهر.. صحيح أن رئيس الجامعة يريد نتائج ملموسة، ويعتبره نصابًا لا خلاق له يجيد تبديد المال فيما لا طائل من ورائه.. لكنّ (مالكولم) كان يمرر يده على رأسه مبعثرًا شعره الأحمر الناعم.. ويزيد



هذه المرة قضيا ساعتين فى الكلام .. كان البروفسور يعرف
أن كل هذا ممكن ؛ فهو على قدر من الثقافة والعلم ..

عينيه الزرقاوين اتساعًا هاتفًا:

- «بروفسور (إريكسون).. إن هذا الحقل الذي أعمل فيه ما زال حقلًا رضيعًا.. نتائجه لا يمكن قياسها بالترمومتر.. أو جهاز الضغط.. أو رؤيتها على شاشة..»

فيقول (إريكسون) في غيظ وهو يتمنى خنقه:

- «إذن ماذا تريد؟»

- «هذا سهل.. أعطني الوقت والمال والرجال ولسوف أصنع لك التاريخ ها هنا.. لا تتعجلني.. إنما نحن في لحظة ميلاد العلم الذي سيكون هو العلم الوحيد في المستقبل..»

ثم يعقد كفيه كأنما يصلي.. ويهمس:

- «دع المولود يترعرع في هدوء.. أرجوك!»
- «تبًّا!»
والآن نعود إلى بطلنا (إيجور) الذي تردد على معمل (مالكولم) في الجامعة، بناء على توصية من بروفسور (شلوفسكي) أستاذ الأمراض النفسية بولندي الأصل..
لكم من اختبارات أليمة اجتازها (ايجور) حتى صدقوا أنه ليس نصابًا!..، مئات من رسوم الدماغ.. وآلاف من فحوص قاع العين.. حتى إن (إيجور) صار يتوقع في كل ثانية أن يهشموا رأسه بفأس، ثم يخرجوا مخه لفحصه عن كثب..
وكانوا يجلسون (إيجور) على مقعد شبيه بكرسي كهربائي، وقد تم ربط مئات

الأقطاب إلى دماغه وقلبه وذراعه.. ولربما غرسوا إبرا دقيقة في عضلات فخذيه.. ثم يوقفون أمامه أربعة أو خمسة أشخاص ويطلبون منه أن يخمن أفكارهم...

وكان في الغالب ينجح...

إلى أن جاء اليوم الذي اصطحبه فيه د. (مالكولم) إلى مكتبه، وجلس خلفه واضعًا ساقًا على ساق ليقول له في مودة:

- «أهنئك يا مستر (تاركوفسكي).. أنت Esper حقيقي..!»

- «ماذا تعني؟»

- «أعني أنك من المتمتعين بالإدراك فائق الحس..»

هذا هو ما وجدوه؟ كل هذا الجهد وكل هذا المال المبدد، من أجل شيء يعرفه

(إيجور) منذ أعوام طوال؟!
تساءل (إيجور) في ضيق:
- «وما سبب ذلك؟»
قال (مالكولم) وهو يتصفح ملفًا مكتنزًا بالأوراق:
- «الحق يا (إيجور) أنه ما من شيء مؤكد ها هنا.. إن كل من يملكون الإدراك الفائق للحواس يقولون: إنهم ولدوا هكذا..، أمّا أنت فإن لديك بداية قاطعة لموهبتك: يوم دُفنت تحت الانهيارات في الخامسة من عمرك..، وهذا يعني أن نقص الأوكسجين الواصل إلى الدماغ كان له دور أساسي في قدرتك هذه..، ثمّة مركز معين في مخك كان نائمًا ثم استيقظ حين نامت بقية المراكز..، كان عليه أن يبقيك حيًا وعرف

أن المسئولية هي مسئوليته وحده، يمكن القول أنّ هذا المركز هو المسئول عن اختراق الأفكار كما تسميه، لأنّه قد استيقظ وسيظل حيًّا طيلة حياتك..»

قال (إيجور) وهو يعيد التفكير في هذه الحقائق، كان يعرف دومًا أنّ هذه هي البداية وأن هجوم النازي هو السبب الوحيد لما يعانيه:

- «وهذه النوبات التي تهاجمني الآن؟»

قال د. (مالكولم) وهو يفرد رسمًا للمخ:

- «إن هناك تزايدًا للموجة (دلتا) في رسم مخك الكهربي.. وهذا التزايد مطرد، لا يوجد ما يدل على ورم أو شيء مشابه في الدماغ، لهذا نقول بكل بساطة: إن هذا الجزء يحاول أن يسيطر عليك وأن يمسك

بزمام الأمور، لكنّ عقلك الطبيعي يقاوم ويحاول استعادة السيطرة..»
- «لقد فقدتني بالفعل..»
تنحنح (مالكولم) وبحث عن كلمات أسهل:
- «يوجد طاغية في دماغك يحاول أن يحتل الدماغ كله.. لكنّ باقي دماغك يقاوم بعنف.. ومن ثم تحدث النوبات.. ألا تجد أن موهبتك تزداد قوة يومًا بعد يوم؟»
همس (إيجور) في ألم:
- «بلي.. في البدء كانت لحظات (الاختراق) غير اختيارية ونادرة.. ثم صارت اختيارية.. اليوم هي غير اختيارية من جديد لكنّها تحدث طيلة اليوم..»
قال (مالكولم) وهو يغلق الملف:

- «تلك هي مشكلتنا الصغيرة إذن.. تصوّر أنّ هناك عقلًا بشريًا لا يكف لحظة عن التنقل بين عقول الآخرين.. لا أفكار خاصة بك.. ستسمع ضوضاء طيلة اليوم لا تعرف إن كانت منك أم من الآخرين، ستسمع كل أفكار الناس التي لا تريد أن تعرفها، ستشعر بمقت غير عادي لهذا العالم.. شأنك شأن من يرى كل الناس عرايا طيلة الوقت.. إن هذا يثير الاشمئزاز.. لهذا يعاني الـ Espers من حالات قيء متكرر.. واكتئاب مزمن..»

ثم داعب بعض الزهور الموضوعة على مكتبه.. وأردف:

- «إنك ستفقد ذاتيك بالتدريج لتذوب في الزحام..»

في مرارة غمغم (إيجور):

- «إنك لا تكف عن إثارة بهجتي وآمالي..!»

- «هذا عملي.. سنحاول أن ندربك على نوع من (التغذية الرجعية) الحيوية[1].. وبالتالي تتعلم كيف تكبح جماح موهبتك هذه، كما أننا سنعمل جاهدين على تسهيل لقائك بزملاء يماثلونك في هذه الموهبة.. إنهم سيقدمون لك خبراتهم ويعلمونك كيف اجتازوا أسوأ لحظاتهم في هذا الصدد.. أمّا الآن فلا شيء أقدمه لك أفضل من مستحضرات (البنزوديازبين) المهدئة.. إن النوم أو سكينة الدماغ هي ما تحتاجه الآن..»

سأله (إيجور) في قلق:

ـ «هل ما ينتظرني مخيف يا دكتور؟»
تحاشي (مالكولم) نظرته.. وغمغم:
- «لقد رأيت حالتين تمران بما تمر به... والنهاية كانت هي الجنون أو الانتحار هربًا من طوفان الأفكار هذا.. فهل تعتبر هذا شيئًا مخيفًا بما يكفي؟!»
..................!

* * *

- ١١ -

الحق أنّ هذه الموهبة لم تكن وبالًا كلها... إن (إيجور) ليغبط نفسه أحيانًا على امتلاكه لها.. من المفيد أن تقرأ خواطر الناس حين تكون موظفًا في مصرف...

خذ عندك هذا الرجل الوقور الذي يتقدم نحوك، وهو يصلح رباط عنقه الفاخر، ويضع حقيبته على (الكاونتر) أمامك في سأم كأنما تضايقه إجراءات المصارف الروتينية هذه.. وينظر إلى ساعته غير ناس أن يمط شفته في اشمئزاز.. تا.. لقد تأخرت كثيرًا جدًا عن موعدي المهم..،

وتمر حسناء فيبتسم لها ابتسامة جانبية سريعة.. ثم يقف ليقول لك في هدوء وثقة:

- «أريد تبديل فئة أصغر بهذه الدولارات..»

ويضع رزمتين.. ثلاثًا.. عشرًا من الدولارات عالية الفئة على (الكاونتر) أمامك.. ويتلفت حوله في حذر ليريك أنه يهاب اللصوص.. وينتظر....

عندئذ تسمعه يتحدث في ردهة عقلك:

«أرجو ألا يشك في شيء هذا الأحمق.. إن التزوير متقن.. وأنا أثق بهذا.. المهم أن أبدو واثقًا من نفسي وألا أنصرف سريعًا بمجرد أن يتم الاستبدال.. سأتمهل.. أنظر إلى ساعتي.. أسأله عن عنوان شارع

قريب..، أوشك على الانصراف ثم أعود إليه طالبًا استبدال ورقة نصف تالفة.. هذا هو الأسلوب الأمثل..»

عندئذٍ تقاوم الابتسامة الخبيثة التي توشك أن تتحول إلى قهقهة، وتبدأ العبث بأعصاب الرجل..

تمسك الأوراق وتتأملها في النور مليًا وأنت تعرف أنه يكاد يجن.. الهواء يحتبس في رئتيه..

«ماذا يفعل هذا المعتوه؟ إن الدولار ليست له علامة مائية! لا يمكن أن يعرف الحقيقة أبدًا ..»

عندئذٍ تطلب منه أن يأذن لك بلحظة.. وتنهض تاركًا إياه يغلي كما لو كان جالسًا على مرجل مشتعل..

وتتأخر بالداخل بضع دقائق.. ثمم تعود له كي تواصل عد الدولارات وتتأمل كلًا منها في النور...

ثم.........

ينتهي أوان المزاح.. تقرع الجرس الصغير أمامك، ويرى هذا النصاب الزى الأزرق لرجل الأمن يتقدم نحوكما.. عندئذٍ يفقد وقاره ويتلاشى كل هذا الكبرياء...

«الشيطان!.. كيف عرفها؟.. لقد كان التزوير متقنًا ومن الدرجة الأولى..»

ويسألك رجل الأمن عما هنالك، فتقول في أدب وقور وأنت تشير إلى عميلك المتأنق:

- «لقد قدم لي هذا السيد دولارات مزيفة.. وأعتقد أننا جميعًا نحب أن نعرف

مصدرها..»

عندئذٍ يرتخي جسد المتأنق تمامًا، ويتحول إلى فأر في مصيدة غارق في العرق البارد، ويتحول كبرياؤه إلى بالون فرغ من الهواء تمامًا.. ويقتاده الضابط إلى حيث يقودون الفئران التي لا تجد مهربًا..

نعم.. ليس الاختراق وبالًا على رأسك كله...

عندئذ يدعوك مدير البنك إلى مكتبه، ويهنئك على فراستك فهذه الدولارات مزيفة بإتقان غير عادي.. ويستحيل تمييزها إلا بوسائل تقنية معقدة.. ثم يسألك عن كيفيّة اكتشافها، فتقول في تواضع:

- «لا شيء يا سيدي.. فقط بدا الرجل متعجرفًا أكثر مما يحتمله الأمر.. حتى

إنني.. حتى إنني كدت أقرأ أفكاره!»

❋ ❋ ❋

وتمضي الوقت الممل في تأمل أنماط البشر الذين يدخلون ويخرجون من البنك، وتصغي لأفكارهم في خبث موقنًا في نفسك أن من يزعمون القدرة على الفراسة هم مغرورون حتمًا...

زحام من الأفكار وضجيج لا يصدّق، يحيط بك في كل ثانية، وبرغم هذا أكثر الناس صامتون..

هذه الحسناء تخطر في رشاقة قاصدة شباك الشيكات، تقول لنفسها في فحيح كفحيح الأفاعي:

«اللعنة على هذا العجوز!.. كلما فكرت أنني بعت شبابي من أجل المال.. من أجل هذه الشيكات المتعفنة التي أنتزعها منه كأنني أنتزع آخر ضرس في فمه.. هذه هي مشكلة الزواج ممن يكبرك سنًا..»

ترى هذا وتقارنه برقة ابتسامتها المصنوعة التي تنم عن حب بريء للكون كله، فتاة لها هذه الابتسامة إنما خلقت كي تلهو كالأرانب والغزلان.. كما في أفلام (ديزني) المتحركة..

لكن أفكارها تختلف بعض الشيء....

وها هو ذا رجل الأمن يرمقها في رزانة ويبتسم.. تسقط منها لفافة فيهرع ليعيدها لها.. تشكره.. فيهز رأسه برشاقة بمعنى:

لا تشكريني فهكذا يتصرّف (الجنتلمان) دائمًا...

لكن أفكار هذا (الجنتلمان) تختلف كثيرًا.. أفكار غير قابلة للنشر تتعلق بهذه الحسناء..، الخلاصة أنه سيتحول معها إلى (مينوتور) كاسر يخور ويتصاعد البخار من منخريه....

أما هذا الرجل رث الثياب بادي الفقر فيمشي إلى الصراف؛ ليخرج من جيبه رزمة متسخة من أوراق العملة.. ويعطس عدة مرات، ويقف في ذل منتظرًا أن ينظر الرجل إليه لكنّ أفكاره ترسم صورة مختلفة:

«عشرون ألفًا..! إننا نتحرك بثقة نحو المليون الأول... ولعمري إنّه لشي

يستحق أن يضحي المرء بكل هذه اللذات الصغيرة التي يحبّها الناس البلهاء..»

ويبتسم (إيجور) في ثقة.. الحق أنه لإنسان غير عادي.. إنسان متميز ومخيف..، لكنّ لو علم الناس بموهبته هذه لانكمشوا ولراحوا يتطيرون منه ويخشونه...

❋ ❋ ❋

وهنا رأى (إيجور) ذلك الشاب الناحل الأسمر يتقدم من (لارا) الموظفة الحسناء.. يقف أمامها.. يتحدث معها في أدب ثم يبرز وريقة صغيرة يضعها أمام عينيها..

وجه (لارا) يمتقع وتبتلع ريقها.. تنظر حولها ثم تعيد قراءة الورقة.. الشاب يبدو أكثر عصبية وتوترًا.. ويناولها حقيبة سوداء كبيرة..

ماذا يحدث بالضبط؟..

مع (إيجور) بالذات لا توجد مشكلة في مطالعة الرسائل لأنّه يراها منقوشة كاملة في وعيه، كما يسمع كلماتها بصوت القارئ كما يحدث في السينما، ماذا تقول هذه الرسالة؟

«توجد تحت معطفي أربعة أصابع من الديناميت الموصل بشحنة كهربية.. وطرفا السلك بين أناملي الآن، عليك أن تملئي هذه الحقيبة بالدولارات عالية الفئة ذات الأوراق القديمة وإلا قمت

بتلميس السلكين.. وعندئذٍ سيتلاشى المصرف من على الخريطة..! لا تحاولي الصراخ أو المقاومة.. فأنا يائس ولن أخسر شيئًا لو تحولت إلى كومة من الغبار!..»

كان الأسلوب متماسكًا والخط جميلًا دقيقًا... هذا الخط المميز لمرضى الاكتئاب أو المنغلقين على أنفسهم، ولم يمنع (إيجور) نفسه من الإعجاب بدقة هذا اللص.. إن اللص الذي لا ينسى وضع علامات الترقيم وعلامات التعجب وهو يسرق مصرفًا لهو لص غير عادي..

المهم الآن أن يتم عمل شيء..

(لارا) تهز رأسها الأشقر في إرهاق.. واضح إنها على وشك فقدان الوعي بعد

ثانية أو أكثر ما لم تأخذ... ها اه!.. نفسين عميقين.. ثم تتنفس بسرعة.. العرق البارد على جبينها.. تبدو كأنها قد از دردت فأرًا...

إنها تدخل المكتب تاركة الفتى واضعًا يديه في جيب معطفه، وهو يتلفت حوله في قلق...

ثم تعود بعد دقائق مع المدير.. المستر (كوثبرت) البدين ذى الملامح الطفولية يهز كرشه الضخم ويبدو ممتقعًا..

يعيد (كوثبرت) قراءة الرسالة.. ثم ينظر نحو الفتى وعيناه تقولان: لا.. لكنّ الفتى يهز رأسه أن: نعم.. ويفتح زرين من معطفه..

يتبادل المدير الهمس مع (لارا) ثم يشير للحقيبة..

هنا يصيح (إيجور) السمع إلى أفكار الفتى:

«ليتهمًا يصدقان!.. ليتهما!.. رباه!.. دعني لا أفشل هذه المرّة أيضًا!»

كانت الكاميرا التلفزيونية المعلقة مسلطة نحو الفتى.. ورآه (إيجور) ينظر لها في قلق.. إن كل شرطة الولايات المتحدة ستحصل على صورته بعد ربع ساعة من الآن..، وهذا يحمل معنى واضحًا: إن الفتى يخطط للهرب مهما كانت النتائج.. وحتّى لو لم يقنع المدير بنيته للانتحار.. بالتالي من المنطقي أن يكون مسلحًا.. فما هو سلاحه؟

أحسّ (إيجور) في ذهنه بملمس المسدس.. البارد الصارم الثقيل يرقد في جيب المعطف صامتًا ينتظر.. لكنه أدرك كذلك أن المسدس خال من الطلقات.. لم يكن الفتى راغبًا في التهور مهما كانت الأمور.. لأن عقوبة السارق أخف بمراحل من عقوبة القاتل..

وهكذا تقدم (إيجور) في ثقة يشق زحام العملاء.. حتى وقف عند الشباك بجوار الفتى.. توتر هذا الأخير لحظة.. لكنه افترض أن (إيجور) عميل آخر لا يدري ما يدور ها هنا..

مد (إيجور) يده فوضعها على كتف الفتى.. وهمس:

- «لا أدري لماذا لا أميل كثيرًا إلى رؤيتك هاهنا.. لربما غدت الأمور أفضل لو أنك غادرت البنك الآن!»

- «عم تتحدّث يا سيد؟»

وصاحت الفتاة في هستيريا ومعها مدير المصرف:

- «ابتعد يا (إيجور)!.. إنّه ملغم تمامًا!»

بنفس الهستيريا تقريبًا تراجع الفتى للوراء:

- «ابتعد عني!.. وإلا دفعتم الثمن غاليًا!»

لكنّ (إيجور) يمد يده ليفتح معطف الفتى عنوة..

ويقول أمام نظرات الواقفين الذاهلة:

- «ملغم بـ (الكرواسان)؟.. هذا حق!»

لقد ملأ الفتى سترته تحت المعطف باصابع (الكرواسان). المتلاصقة، التي تبدو من تحت المعطف كأنها شحنة ديناميت رهيبة..، وفي ثانية تحوّل هذا السفاح اليائس إلى مخبول يحبّ (الكرواسان) يقف غارقًا في العرق.. عرق الفشل.. عرق الخجل.. عرق الخوف..

لم يصدّق بينما رجال الأمن يتقدمون نحوه لينزعوا معطفه، ويفكوا هذا الحزام المضحك من حول خصره، وأحدهم يخرج المسدس الخالي من الذخيرة من جيبه.

لم يصدّق بينما (لارا) تولول وتبكي.. ثم تنكمش على نفسها مطلقة صرخات هستيرية واهنة على سبيل التغيير..

عندئذ عرف أنه لعب بورقته الأخيرة.. وفشل...

تقدم منه (إيجور) في تعاطف واضح، وأخرج من جيبه علبة تبغ... دسّ واحدة منها في فمه وأشعلها بينما ذلك الصوت المعدني الكئيب للأصفاد إذ تنغلق حول معصمه يتردد:

كليك... كليك...!

سأله (إيجور) وهو يشعل لفافة أخرى لنفسه:

ـ «لماذا تهورت يا (كارلو)؟.. إن (سيلفانا) كانت ستعود لك حتمًا.. إنها تحب بيتها وأطفالها ولم يكن ما حدث سوى زلة عابرة».

قال الفتى وهو يلوك اللفافة لأن يديه صارتا مقيدتين:



لكن (إيجور) يمدّ يده ليفتح معطف الفتى عنوة . .

- «أردت أن يعرف الجميع من هو (كارلو برتيني).. لست أنا ذلك الجبان عديم الذكر الذي تقتحمه العين اقتحامًا.. أنت تعرف شعور المهاجر الإيطالي في بلدة كهذه.. إما أن يكون ممثلًا أو لصًا.. وعلى كل حال ستعرف (سيلفانا) أنها قد قارفت خـ....»

وهنا تصلب وأدار عينه نحو (إيجور)، فوجده قد رحل.. وبينما هو يمشي نحو عربة الشرطة لم يملك نفسه أن يتساءل في حيرة.. (لقد كان شارد الذهن فلم يثر ما حدث ذهوله).. من هو هذا الرجل؟.. كيف عرف مشكلته وعرف اسمه واسم (سيلفانا) زوجته التي رحلت؟!

إلا أنه ـ في الساعات التالية ـ لن يجد مزيدًا من الوقت للبحث عن إجابة.....

❋ ❋ ❋

- ١٢ -

لماذا كان يميل إلى (لارا)؟..

كانت جميلة - هذا حق - لكنه ذلك الجمال البارد المميز لدمى واجهات المحلات، وبالتأكيد لم يكن جمالها من النوع الذي يروق له...

كانت رقيقة.. لكنه ذاق من الرقة ذلك المذاق الكريه حين تتحول إليَّ قسوة أو لا مبالاة.. وخبرته مع (جلاديس) كافية..

من الصعب معرفة السبب...

لكنه كان يرجح أن التفسير يعود إلى حبها له.. وإلى شعوره بالوحدة وحاجته إلى رفيقة درب.. أية رفيقة...

أضف لهذا ـ بالطبع ـ أنها كانت محدودة الذكاء، وأنها كانت تملك (أنظف) مخ اخترقه في حياته.. فهي تحبه هكذا.. دون تعقيدات أو ادعاءات.. وهي لا تظهر عكس ما تبطن.. ولا تملك طموحات شريرة شيطانية..، ولم تبد اهتمامًا بأنفه الكبير قط..

كانت مبهورة بشجاعته.. لكنه كان يعلم جيدًا أنه ليس شجاعًا.. إن مهاجمة رجل مسلح بأصابع (الكرواسان) ليست شجاعة طالما أنت تعرف ذلك..

كانت مبهورة بفراسته وحدة ذكائه.. لكنه كان يعلم أن فراسته هي قدرته على اختراق عقول الآخرين..

لم يكن يستحق انبهارها.. لكنّها - بالتأكيد - لا تستحق حبّه تمامًا.. إنّه يميل إليها كما يميل إلى كلبه.. لمجرد أنها (لطيفة المعشر).

وفيما عدا اللقاء في المصرف؛ كانا يخرجان بانتظام كل ليلة تقريبًا، حيث يصحبها من دارها ـ حيث ما زالت تعيش مع أبويها ـ في سيارته الصغيرة ليذهبا إلى أي مكان....

* * *

يجب هنا أن أذكر أن (إيجور) لم يعد يقيم مع أبويه.. فقد اقتني شقّة صغيرة نظيفة

على بعد أمتار من المصرف الذي يعمل فيه..
والشقة لا تحوي من ذكريات الماضي سوى صورتين.. صورة لأبويه البولنديين.. وصورة للجنرال (جابلر).. الذي غدا رفيق حياته.. يراه أول شيء عند الاستيقاظ واخر شيء قبل النوم.. بل إنّه أحيانًا ما كان يثرثر معه. بالألمانية التي لا يفهم الجنرال سواها، والتي تعلمها (إيجور) خصيصًا من أجله...
واعتاد أن يحيية كلما رآه فاردًا ذراعه الأيمن عن آخره، هاتفًا بلهجة عسكرية صارمة: (هايل هتلر)!.. عندئذ كان يرى بسمة خبيثة تتلاعب على ثغر الجنرال....

أين أنت يا (جابلر)؟.. تراك مازلت حيًّا بعد هذه الأعوام؟

أنت قتلتني يومًا ما.. ولسوف أهيم كشبح - مثل الزوجين (كيلي) - إلى يوم الدينونة حتى تلقى عقابك أو تموت..

نعم يا (جابلر).. أنا شبحك الذي سيطاردك في كل ركن.. وراء كل منحني.. وخلف كل شجيرة.. وتحت كل فراش..، حتى في لحظة الاحتضار لن تأمن أن تجد أناملي تلتف حول عنقك لتجعل احتضارك - قدر الإمكان - أليما معذبًا....

أين أنت يا (جابلر)؟!

تدوي الصرخة النفسية المروعة عبر الغابات.. تحرك مياه الجداول وتسقط قطع

الثلج من قمم الجبال.. وتفر من هولها قطعان الوعول.. تعبر المحيطات باحثة عن الوحيد الذي يملك الإجابة..

أين أنت يا (جابلر)؟!

* * *

- ١٣ -

كان معمل د. (مالكولم) يشبه سيركًا إلكترونيًا مسليًا إلى حد لا يوصف.. والرجل هو نفسه مزيج مثير من الدجالين والعلماء.. فلا يلومن أحد رئيس الجامعة على شكه في مصداقية هذا الرجل..

الآن تعال أقدم لك فئران التجارب الآدمية في هذا السيرك الإلكتروني، هيا.. تقدم وصافحهم....

الأول هو (مايكل هاثاواي).. مدرس في الأربعين من عمره.. يعاني من حالة متقدمة من الإدراك الفائق للحواس.. وعلى حد قوله (الضجيج لا يرحمني لحظة

واحدة)، وحتّى حين يحاول أن يغفو توقظه دومًا أحلام زوجته الحمقاء، فهي لا تحلم سوى بكلب أسود يحاول عضها من مؤخرتها!

ويقول (هاثاواي) في مرارة: أصحو من النوم عشر مرات ليلًا شاعرًا بأنياب الكلب تمزق مؤخرتي أنا، وقد نصحه البعض بأن يُطلق زوجته، ونصحه آخرون بأن يهشم رأسها لكنه لا يبدو متحمسًا للحلين.

الثاني هو (إيجور تاركوفسكي).. مهاجر بولندي اكتسب موهبة (الإدراك الفائق للحواس) في ظروف مبهمة، وهو إنسان صموت حساس إلى أقصى حد، الواقع أننا - قراء (ما وراء الطبيعة) - محظوظون

للغاية إذ نعرف جيدًا ما يفكر ويحلم به (أبو الهول) هذا....

الثالث هو (جيمس ماكجافن).. كان ضابطًا بالجيش.. وهو من هؤلاء المتمتعين بقدرة (السايكو كاينزس).. وهي لفظة لاتينية تعني (التحريك عن بعد)..

كان (إيجور) قد سمع عن هذه القدرة لكنه لم يرها.. ولم يتخيلها قط.. حتى رأى هذا الـ (ماكجافن) ينحنى على المائدة ويقطب وجهه.. ويرتجف في مزيج من الألم والانبهار والنشوة.. وراحت ملامحه تتقلص.. واحتقن وجهه بالدم.. عندئذٍ رأى (إيجور) - مذهولًا ـ كوبًا من الماء يتحرك حركة عصبية قصيرة فوق المائدة.. كأنما هو مربوط بخيط إلى (ماكجافن) نفسه..

ثوان مضت مثقلة بالتوتر والجهد الذهني الذي يدنو كثيرًا من انفجار المخ.. ثم هوى الكوب من فوق المائدة ليتهشم إلى ألف قطعة..

وهمد (ماكجافن) وراح يلهث في نشوة الخلاص..

بدا الأمر بالنسبة لـ (إيجور) غريبًا لكنه مخيب للآمال.. كل هذا الجهد من أجل كوب.. وهو الذي حسب (السايكوكاينزس) قادرًا على رفع مدرعة عن الأرض ونقلها إلى أرض أخرى..، لكنّ (مالكولم) أخبره أنّ هذا ما يظنه العامة.. إن القدرة على تحريك بضعة كيلوجرامات عن بعد لأمر نادر جدًا ولا توجد سوى قلة من هؤلاء المحركين معظمهم محبوسون في معامل

(لينينجراد) الآن باعتبارهم سرًا حربيًا سوفيتيًا....

الآن ننتقل إلى الشخص الرابع..

إنه زنجي يدعى (جيف جولد سميث).. وهو بلا عمل.. نشأ في الأزقة وسينتهي إلى الأزقة لأن زنوج (مانهاتن) لا مستقبل لهم.. فهم إما عمال مصاعد أو راقصون أو لصوص.. ربما تحول سعداء الحظ منهم إلى (زومبي) لكنّ هذا لا يحدث عادة..

(جيف) يملك موهبة (التخاطر) أو (التليباثي)، ويستطيع أن ينقل أفكاره إلى الآخرين بسلاسة غير عادية.. للأسف أن أفكاره ليست رائعة إلى هذا الحد..

ومعظمها شتائم بذيئة تنتهي دومًا ـ كعادة الزنوج - بلفظة (يا رجل)..

الخامس هو (بيتر شندلر).. الاسم يوحي بأصل ألماني ففي الولايات المتحدة لا يوجد أمريكي أصيل سوى الهنود الحمر.. أمّا الباقون فنازحون من كل بقاع الأرض..

والأخ (شندلر) هذا يتمتع بموهبة خاصة في (الإدراك الفائق الحس).. فهو....

- «سلبي.. إنّه Esper سلبي..»

لم يفهم (إيجور) معنى السلبية هنا..، فقال (مالكولم) وهو يتأمل (شندلر) في إعجاب:

ـ «معنى هذا أنه غير قادر على اختراق عقول الآخرين.. لكنه في الوقت ذاته

صاحب عقل مغلق.. لا أحد يستطيع اختراقه أو معرفة أفكاره..»

ثم هتف في (إيجور) متحديًا:

- «حاول أن تعرف فيم يفكر..»

نظر (إيجور) إلى وجه الألماني المبتسم عديم التعبير وحاول:

«..................................»

إظلام.... حاول ثانية في إصرار:

«..................................»

إظلام...

قال (مالكولم) في حنكة تدلّ على خبرة مخضرمة:

- «إن الـ Espers السلبيين صالحون دائمًا للاحتفاظ بالأسرار الكبرى، خاصة حين يكون عليهم التعامل مع آخرين

إيجابيين مثلكم.. إن هذا الرجل أشبه برسالة كتبت بالحبر السري، ولا أحد يملك السائل المظهر في العالم كله..»

وفي ذهنه سمع (إيجور) من يتكلم في تهكم:

«اللعنة يا رجل!.. أية موهبة سلبية؟.. إن هذا الفرخ القذر لا يصلح إلا كدمية متعفنة!»

أدرك (إيجور) - وكذلك المدرس - شخصيّة القائل فورًا.. فنظر له وهمس مبتسمًا:

- «احتفظ بآرائك لنفسك يا (جيف)..»

- «ليكن يا رجل.. لكنّ لتحل عليّ اللعنة..»

* * *

ساد الظلام المعمل.. فيما عدا صوتًا غريبًا كأنه عواء أو نداء غامض يتخذ طابعًا لحنيًا، ينبعث من جهاز التسجيل الذي يدور ببطء...

قال د. (مالكولم) بصوت رخيم حاول أن يوحى بالاسترخاء:

- «هذه الموسيقا من اليابان... كهنة (زن) يتسعملونها للتركيز.. ويقال: إنها فعالة في ذلك»

وأضاء مصباحًا أزرق غمر المعمل بضوء شاعري غريب، كأنه ضوء القمر ذات ليلة صافية.... لكنّ الرؤية ظلت عسيرة بعض الشيء برغم هذا...

أردف (مالكولم) وهو يسير بين تلاميذه أو حيوانات تجاربه - أيهما أدق - وقد عقد كفيه خلف ظهره:

- «إن العقل البشري هو أشبه بالقصر ذي المائة غرفة كلها مواربة.. لكنّ هناك حجرة واحدة ممنوع علينا دخولها.. هل تعرفون لماذا؟.. لأنّها تضم أقسى وأفحش ذكرياتنا.. الذكريات التي نداريها حتى عن أنفسنا لنظل آدميين..»

ثم توقف هنيهة ليداعب شعره الأحمر:

- «العلاج النفسي يحاول مجرد قرع هذا الباب والعبث بمفاتيحه، لكنه لا يفتحه.. التخدير ينجح أحيانًا في إلقاء نظرة من ثقب هذا الباب لكنه لا يفتحه.. نحن - الجالسين ها هنا - القادرون على فتح هذا

الباب، ودخول الغرفة المغلقة لرؤية ما بها.. لكننا بحاجة إلى مران.. بحاجة إلى إدراك مفهوم الغرف جيدًا..»

هنا تذكر (إيجور) ما اعتاد أن يراه في لحظات الاختراق.. كان يسمع الصوت كأنما يتردد في رواق كبير مزدانًا بالصدى، وكان يرى هذا الرواق يمتد أمامه والأبواب على جانبيه..

إن (مالكولم) يعرف حقًّا ما الذي يتحدث عنه...

قال (مالكولم) وهو يواصل جولته المتئدة:

- «حتى هذه اللحظة نحن قادرون على معرفة الأفكار الحاضرة للناس.. لكننا نجهل تمامًا ما كانوا يفكرون فيه.. نجهل ذكرياتهم وخططهم المستقبلية.. لهذا نحاول

أن نتدرب على فتح الأبواب وتفتيش الغرف..»

تساءل (هاثاواي) ومعه حق في تساؤله:

- «ولماذا نتعلم هذا؟.. نحن نريد الشفاء من موهبتنا أو تنظيمها.. لكننا غير راغبين في التجسس على الطبيعيين..»

- «نقطة جيدة..»

قالها (مالكولم) واتجه ليقف جوار (هاثاواي).. وأردف:

ـ «نحن لن نمارس خارج هذا المعمل ما تعلمناه داخله.. سنحاول أن نخترق عقول بعضنا البعض.. سنتعلم أكثر عن الغرفة التي تحوي هذه الموهبة.. سنصارعها.. سنرغمها على الخضوع لنا بدلًا من أن نخضع لها..، إن الحل لمشكلة كل منكم هو

في عقله.. وهناك من سيفتح أبواب هذا العقل.. إننا نسمي هذا الأسلوب بـ (العلاج التبادلي).. هل هناك أسئلة؟»

ساد الصمت.. فقط تبادلوا النظرات.. وسمعوا في عقولهم سبة بذيئة من الزنجي (جيف) يتهم كل هذا بالسخف.. لكنّ أحدًا لم يعلق.. وأشار (مالكولم) إلى (هاثاواي) و(إيجور) كي يجلسا متقاربين.. ثم قال:

ـ «ابدأ الآن اختراق عقل كل منكما... تشبثا بنظرية أبواب القصر.. واستخدما كل ما عندكما من ذكاء للتجول فيه، وفتح المزاليج الموصدة.. استمتعا بوقتكما إذن!»

❋ ❋ ❋

بدأ (إيجور) اختراق ذهن المدرس...
في البدء كانت هناك مجموعة من الأفكار السطحية.. والركام إذا صح التعبير.. راح (إيجور) ينقل قدميه بين الأفكار المتشابكة في حذر..
«هذا هو الاختبار..» «إنّه لن يستطيع أن..» «أسراري الخاصّة...» «هذه الموسيقا غريبة حقًّا...»..
حتى استطاع أن يصعد في الدرج قاصدًا الطابق الثاني.. صوت خطواته يدوي كطلقات الرصاص وسط السكون المخيّم على المكان...
أخيرًا رأى (إيجور) الرواق يمتد أمامه.. مظلمًا ضيقًا خافت الإضاءة.. الأبواب على



وكان يرى هذا الرواق يمتد أمامه والأبواب على جانبيه ..

جانبيه...
كأنها رؤيا من رؤى مهاجر تشيكي آخر جاء إلى أمريكا هو الأديب (كافكا) الذي تخصص في رسم هذه المشاهد الكابوسية المريعة، وكان (إيجور) يحبّ كتابات (كافكا).. لكنه لم يرغب قط في أن يعيشها..
كانت الأبواب مواربة.. وفي حذر خطا (إيجور) إلى الداخل ليفتش أول حجرة...
كانت غرفة أطفال... بها مهد.. ودمى.. وألعاب بسيطة تتحرك بالزنبرك..، وكانت هناك امرأة تعنى بمهد يرقد فيه طفل صغير يجأر بالبكاء كالمسعور..
- «هلمّ يا (ميكى)» - تقول المرأة ملاطفة
- «أنا لا أحب الأطفال منحرفي المزاج..»

كان (مايكل هاثاواى) طفلًا.. المرأة قصيرة الشعر حولاء العينين قليلًا.. ليس ذلك الحول المشوه المنفر.. بل هو حول بسيط ساحر يوحي بأنها (تحملق) باهتمام فيما أمامها..، هو ذا (مايكل) يحبو.. (مايكل) آخر يتشاجر مع أصدقائه في الحضانة.. الحب الأول.. وجه طفلة شقراء ذات شعر مجعد ساحر.. مشاجرات مع رفاقه في الصف على حب (هيلين).. دموع.. كدمات.. ثياب ممزقة..

غادر (إيجور) الغرفة الأولى.. ومشى في الرواق بضع خطوات ثم فتح باب الغرفة الرابعة...

رائحة التبغ.. أنت تدخن يا (مايكل).. أنا أعرف هذا ولسوف أعاقبك شر عقاب،

وجه (بيكي تاتشر) الرقيق الجميل.. مشاعر المراهقة الجامحة.. فيض من العواطف يغرق كل شيء.. صور لفتيات جميلات (يبدو أنه كان يحتفظ بهذه المجموعة في درج مكتبة).. ثم.. درجاتك تتدنى في المدرسة يا (مايكل).. أنت تنهار.. تذوب...

الغرفة التالية على اليسار.. الزوجة.. تقف في صرامة تنظر إلى (إيجور).. (غريب أنها كانت حولاء قليلًا مثل الأم).. شعرها معقوص مرفوع ملفوف في شبكة.. إنها السلطة الثانية في حياة (مايكل) بعد الأم.. ربما هي السلطة الوحيدة الآن..

«(مايكل)!.. أنت لم تعد أنت!»

الغرفة السادسة على اليمين:

هنا مجموعة من الطلبة الوقحين في قاعة درس.. أحدهم يجلس واضعًا قدميه على المنضدة.. انزل قدميك يا (جيم).. لن أفعل يا رجل.. دعني أو ما بوسعك عمله...

النظرة الوقحة وهو يلوك العلكة.. يجب عمل شيء.. يجب.. لابد من عقابه حالًا.....

دخل (إيجور) - مبهور الأنفاس ـ الغرفة السادسة على اليسار:

المياه في كل مكان.. إنني أغرق.. افعلوا شيئًا!. أرسلوا إشارة (ماي داي) للاستغاثة..

هنا يبرز القبطان وسط المياه الثائرة.. الغليون لم يفارق فمه.. يقول لـ (مايكل) وهو يقذف إليه بطوق نجاة:

- «لا إشارات لاسلكية يا (مايكل).. إن اليابانيين قريبون.. علينا أن نظل صامتين حتى يجدنا رجالنا..»

أسماك القرش.. رباه!.. لا أريد أن أموت...!

وأخرجت سمكة قرش عملاقة رأسها من الباب لتلتهم (إيجور)؛ لكنه أغلق الباب في اللحظة الأخيرة....

وبأنفاس لاهثة فتح الباب السابع على اليسار.. فرأى غرفة جراحة بها فريق من الجراحين.. يلتفت أحدهم نحوه ليقول:

- «لا جدوى.. لابد أن يفقد ساقه!»

إذن فـ (مايكل) ذو ساق صناعية..؟.. هذا هو سبب العرج الذي لاحظه عليه منذ عرفه.. الدماء تملأ الحجرة.. ثم يرى

(إيجور) ساقًا مقطوعة تنزف الدماء تتراقص في الهواء.. تتبعه في كل مكان...
الباب الثامن على اليسار موصد بالمفتاح.. لكنّ مفتاحه فيه.. يدير (إيجور) المفتاح بحذر.. ويوارب الباب فلا يرى سوى ظلام دامس.. وفجأة تنفتح أبواب الجحيم:
كل المخاوف الكامنة في نفس (مايكل هاثاواي) تخرج إلى الوجود.. كلاب سوداء هائجة تنبح.. نمور.. تنانين.. أفاع.. ثم يبرز وسط كل هذا رجل صارم يرمقه في اتهام (هل هو الأب؟) ثم تظهر الزوجة ملوحة بمغرفة هائلة الحجم.. يتبعها وحش مبهم هو كتلة من الشعر المخلوط بالدماء.. الهياكل العظمية المعلقة على جدران

الغرفة تتحرك.. يتقدم الموت من الباب حاملًا منجله الذي يحصد به الرءوس.. ويمد يده العظمية نحو (إيجور):

- «نعم يا (مايكل).. أنا هو الموت.. أسوأ مخاوفك!»

يغلق (إيجور) الباب مرتجفًا.. ويهرع نحو باب آخر.. باب موصد لكنّ المفتاح في ثقبه مرّة أخرى.. يواربه.. وينظر..

بالداخل تقف أجمل فتاة رآها في حياته.. تمسك كتابًا.. تخلع عويناتها التي زادتها أناقة.. وتقول:

- «إن هذه العلاقة لن تستمر يا (مايكل).. إن لك زوجة وأطفالًا.. ومهما قلت فلن أرضى بأن أسلبهم إياك...»

- «لكني أحبك يا (مارلين)..»

- «أغلق الباب يا (مايكل).. من فضلك..»

- «لكنّ...»

بلهجة أكثر صرامة كررتها:

- «من فضلك!»

أغلق الباب وواصل رحلته في ردهات عقل (مايكل هاثاواي).. كل شيء هنا بالرائحة والملمس.. إن (مايكل) لم ينس شيئًا في حياته حتى معادلات الجبر وتعداد سكان (ماليزيا).. هو فقط لا يذكر أنه يذكر..

أخيرا وجد (إيجور) الباب الذي بحث عنه طويلًا.. الباب الخشبي العملاق الذي لا مفتاح له، وقد أحاطت به المزاليج...

هذا هو الباب الذي يقود إلى سر الأسرار.. إلى الكيان الذي يحاول (مايكل) نفسه أن ينساه.. الباب إلى عقله الباطن.. إلى أعمق أعماق ذاته....

حاول (إيجور) أن يفتح المزاليج لكنّها كانت محكمة الإغلاق صدئة بحكم أنها لم تمس منذ عقود طوال....

وقف أمام الباب يتأمله في بلاهة عاجزًا عن اتخاذ القرار الصحيح.. ثم راح يركله بقدمه.. ويضربه بكتفه.. صوت الضربات يتردد في طرقات العقل س ية، وكان يرتجف غيظًا وحنقًا...

لابد من سبيل لفتح هذا الباب اللعين...

الديناميت!.. لِمَ لا؟... سيعود إلى غرف الحرب إياها بحثًا عن قنبلة أو إصبع

ديناميت.. ثم يعود ليفجر هذا الباب ويدخل الغرفة المحرمة.. إن هذا يبدو مسليًا.. ديناميت من ذكريات (مايكل) يفتح ثغرة إلى عقله الباطن.. لابد أن (فرويد) كان سيتمتع كثيرًا بهذا الموقف غير المألوف..

وهذا ركض (إيجور) إلى الحجرة السادسة على اليسار.. واندفع وسط المياه يبحث عن قنبلة أو ديناميت أو اي شيء يصلح.. كان هناك طوربيد ياباني قذفته طائرة على المدمرة الأمريكية.. لم ينفجر بعد لكنه ينتظر لمسة بسيطة...

حمله على ذراعيه وراح يركض نحو باب الغرفة الموصدة.. غريب أنه خفيف الوزن إلى هذا الحد... إنه فكرة.. والأفكار لا ثقل لها.. وعلى الأرض أنزله بحذر

وترك محركاته تهدر مدحرجة إياه نحو الباب الموصد.. و.........

بوووووووم..!

بكل صعوبة وجد الوقت كي يرتمي أرضًا.. في الوقت الذي اهتزّ فيه الممر بأكمله.. وتطايرت أشلاء الباب في كل مكان..

وحين هدأ الانفجار..

حين خبت النيران..

كان الدخان يغمر كل شيء.. لكنّ الغرفة كانت مفتوحة كقلب صديق.. تنتظر أن يدخل ليرى......

وقد فعل.....

* * *

بعد ثانيتين خرج من الباب راكضًا.... وارتمى على جدار الممر الذي كانت رائحة الحريق تفوح منه، وراح يتقيأه المرّة تلو المرّة...... حتى لتوشك أحشاؤه على الخروج من فيه..

إن ما رآه داخل الغرفة كان مريعًا....

كان لا يُصدق......

هل يوجد شيء بهذه القذارة في الكون كله؟.. هل هذا هو ما نداريه عن الآخرين وعن أنفسنا؟.. حسن فعلنا....

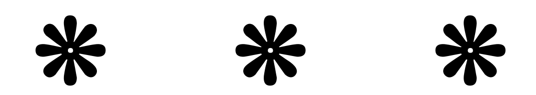
هذا هو العقل الباطن لمدرس وقور مهذب في الأربعين من عمره.. فكيف يكون العقل الباطن لـ (بيل) أو (هاري)؟

كيف يكون العقل الباطن لـ (سيدلتز جابلر)؟!..

حزينًا كاسف البال بدأ (إيجور) يتراجع ليخرج من ردهات عقل (مايكل هاثاواي).. لقد صار المكان مألوفًا.. ويمكنه أن يمشي فيه دون جهد في المرّات القادمة...

لكن.. غريبة هذه الرائحة العطنة التي تملأ المكان.. عجبًا! إن الجدران تتشقق ببطء.. صوت انهيار.. اللعنة!.. إن المكان ينهار كمبني عتيق تقوضت أساساته..

راح يجري مذعورًا حتى هبط إلى الطابق الأسفل حين سمع أعلى صوت سمعه في اللحظات الأخيرة.. لقد تهاوى البناء كله..



كان الضوء الأزرق يغمر المعمل كما كان..

إن (إيجور) لم يغمض جفنيه لحظة.. لكنه كان أعمى وعيناه مفتوحتان فلم يرَ ما طرأ من تبدل على وجه (مايكل)...

أما الآن فهو يرى بوضوح أن (مايكل) ما زال يرمقه متسع العينين.. وخيط من لعاب يسيل من شفتيه إلى صدره...

يرى بوضوح أن د. (مالكولم) يفحص الرجل في شيء من توتر وقلق.. ثم يرمقه وفي عينيه نظرة اتهام... ويسأله:

- «ماذا فعلت بالداخل؟»

- «ك... كنت أجول.. هـ.. هل.. د.. حدث شيء؟»



قال (مالكولم) وهو يواصل فحصه:
ـ «لقد فقد الرجل عقله.. للأبد!».

* * *

الجزء الخامس

(مانهاتن) - ١٩٦٢

- ١٤ -

النوبة من جديد...

سقط كوب الماء من يده، وقد راح النذير يدوي في عقله مرارًا.. النوبة قادمة!.. النوبة قادمة..!

يفقد توازنه ليهوى فوق الزجاج المهشم... دعه يمزق ويدمي كل جزء من لحمك فلا وقت لترف الـ.. الـ.. ماذا؟.. لقد نسى.. الانقباضات في كل موضع من الجسد...

يداه ـ وقد اتخذتا وضع المخالب - تمتدان إلى صدره، كي تمزقا طرفي المنامة عن جسده....

ثم صوت أنفاسه.. يسمعة عاليًا كإعصار، وصوت قطرات الماء التي تتدحرج من فوق المنضدة، صوت قيء ذبابة تقف على قالب من السكر.. صوت........

ضوء الغرفة يتغير.. يتحول إلى شمس ساطعة مبهرة يعجز عن فتح عينيه من وهجها.. مئات الإبر تمزق قرنيته..

راتاتاتاتاه!.. بوم!.. «هذه الجهة مغلقة!»

«اخرس.. إنك تثير أعصابي.. اخرس!»

برج الدبابة يدور في بطء مسلطًا مدفعها نحوه..

ثم.. إن النوبة تولى الآن.. الجذر قد بدأ.. ووعيه يزداد بروزًا فوق سطح الماء....

وأخيرا نهض.. مترنحًا مشى إلى حوض الغسيل وراح يتأمل وجهه الشاحب في

مرآة الحمام.. راح يزيل شظايا الزجاج عن شعره... ويجفف العرق.. ويسعل..
وككل مرة يشعر أن قطارًا قد مر فوق جسده مرّتين...

* * *

الحقيقة هي أن النوبات تتزايد تدريجيًا..
واليوم تحدث مرة كل يومين..، تذكر كلمات د. (مالكولم) يوم قال له في مكتبه:
- «يوجد طاغية في دماغك يحاول أن يحتل الدماغ كله..»
الحق يا صديقي أنك تفقد شبابك بسرعة البرق...

لقد نال ـ ككل البشر- شمعة هي حياته، وقيل له أن يشعلها وينتظر حتى تذوب كلها ثم يلحق بالأبدية.. لكن شمعته ـ من سوء حظّه - تحترق بمعدل غير معقول.. تحترق من الطرفين...

عاد يتذكر ما قاله د. (مالكولم).

- «إن موهبتك خطيرة حقًّا.. لقد نجحت في فتح الباب المغلق في عقل (هاثاواي).. فجرته تفجيرًا بينما كان هو يتحسس طريقه عند مدخل عقلك، وحين خرجت محتويات الغرفة المغلقة إلى باقي عقله لم يتحملها.. جن على الفور..»

وابتسم (إيجور) في مرارة..

إن (هاثاواي) الآن نزيل فريد من نوعه في إحدى المصحات العقليّة.. يقول الأطباء

لمن يزوره إنّه مصاب بالجنون الذهولي.. لكنهم عاجزون عن القول إنّه يعاني من انهيار في بنيان عقله.. لقد فجر اللغم الياباني تركيب دماغه ولم يعد لديه ما يفقده..

أمّا عن د. (مالكولم) فقد كانت هذه هي نهاية تجاربه المثيرة في مجال (الباراسيكولوجي).. لقد انتهت تجربة الاختراق قبل أن تبدأ.. ونجح رئيس الجامعة في انتزاع المعمل منه..

- «إذا كنت تظنني سأستمر في هذه التجارب التي تفقد الناس عقولهم فأنت مخطئ..»

صحيح أن د. (مالكولم) لم يترك الجامعة، لكنه راح يبحث في مجالات أخرى جديدة:

للخواص الفسيولوجية لوسطاء تحضير الأرواح..! موضوع آخر لا يمكن الإمساك به...

وعاد (إيجور) يتأمل وجهه في المرآة..

لقد تسبب في تدمير (هاثاواي) وإفناء مستقبله وأسرته.. لكنه لم يتعمد ذلك قط.. لا يمكن أن تلوم أحدًا على ما حدث حتى د. (مالكولم) ذاته، كيف يمكن مساعدة (هاثاواي)؟ لا أحد يعرف...

وكما قال (مالكولم) منذ عامين:

- «نحن نلعب في منطقة حساسة شديدة الانفجار.. لهذا أمركم جميعًا أن تكفوا عن العبث في عقول الآخرين..، أعترف أنني كنت مُغفلًا كبيرًا حين ظننت هذا مفيدًا.. سنستمر في علاجكم ومحاولة تهدئة

الأعراض والتحكم فيها.. لكننا لن نحاول ألعابًا خطرة جديدة»

قالها وقدم إلى (إيجور) علبتين من (البنزوديازبين) المهدئ، الذي يعتمد عليه اعتمادًا تامًا للسيطرة على هياج عقله، وعلى نوبات الصرع الغامضة هذه.....

إن عامين لفترة طويلة حقًّا...

❋ ❋ ❋

كان يحبّ اجتياز هذه الأزقة عندما يعود إلى داره ليلًا بعد ما يوصل (لارا) إلى دارها...

كان يترك سيارته في جراج قريب.. ثم يعود راجلًا عَبر الأزقة المظلمة يتأمل

القطط التي تتصارع فوق صفائح القمامة، ويتعثر في رجل ثمل أسند ظهره إلى الحائط وراح يغط، يصغي لخطوات قدميه.. ويتلصص بأفكاره إلى ما خلف النوافذ المغلقة المضيئة.. *«(هاري).. أنت لا تنفق على بيتك مليمًا!»* *«اخرسي أيتها الشمطاء..!»* *«لقد نفدت الزجاجة!»* *«أين ابنتك المراهقة؟ إنها لم تعد حتى منتصف الليل..»*

كانت ابتسامة وحشية تغمر وجهه...

هذا هو العالم الجديد الذي كان العم (أندريه) يتحدث عنه.. لاشيء سوى الخواء النفسي والانهيار.. إن هذا العالم يحمل جذور فنائه من الداخل.. ولكن متى؟

هنا رأى ثلاثة ظلال تسد الطريق عليه...

في الضوء الخافت بدا يميز وجوههم.. كانوا زنوجًا مراهقين يرتدون قلنسوات صوفية وسترات جلدية ليبدوا رعاعًا..، وكان أحدهم يلوك لفافة تبغ في فمه.. ويلوح بمطواة رائعة الجمال في وجه (إيجور)...

وسمعه (إيجور) يقول بصوته الزنجي الذي يلوك الكلمات ويملأ بها فمه غليظ الشفتين:

- «هلمّ يا رجل.. هل تحمل نقودًا؟ (قالها بالتعبير العامي الأمريكي: هل معك عجين؟).. نحن جائعون ونريد شراء شطائر..»

سرقة بالإكراه!.. واحدة من المعالم السياحية المهمة لـ (مانهاتن)؟

تذكر (إيجور) كلمات (جيف) الزنجي في معمل الجامعة: الزنجي في (مانهاتن) لن يصير سوى عامل مصعد أو راقص أو لص.. ربما حالفه الحظ وتحول بعد موته إلى (زومبي)......

إنهم ضحايا.. لكنه ليس المسئول عن تعاستهم...

وهنا خطرت له فكرة: لم لا يحاول اختراق عقول هؤلاء الفتية؟.. إنّه لم يخسر شيئًا.. ربما لقنهم درسًا لن ينسوه أبدًا...

نظر في ثبات إلى عيني الفتى حامل المطواة و......

هو ذا.. إنّه يجوب طرقات القصر بسرعة غير عادية.. لن يضيع وقته في فتح الأبواب لأنّها لا تحوي سوى قاذورات..

هناك جدة زنجية شاب شعرها تنفجر في حنق.. زنجى سكير يترنح ويُطلق سبابًا بذيئًا: إنني عاطل.. كيف أطعمك وأنا لا أملك ثمن لفافة تبغ؟! الأم تمسك مكنسة وتنظف الردهة ثم تئن وتمسك ظهرها.. مئات من رجال الشرطة يقفزون من سياراتهم ملوحين بهراواتهم.. أنت أيها الزنجي.. هل معك مخدرات؟ هل كنت (تعدل الطاسة) مع رفات من القرود السود؟

ثم الباب.. الباب الموصد إياه الذي يقود إلى العقل الباطن لم يكن مغلقًا بإحكام.. مجرد رتاج صغير.. لأن هذا الفتى لا يملك أي احترام لنفسه ولم يعد لديه ما يداريه عنها.. إن أسرار عقله الباطن ليست

أسرارًا إلى هذا الحد.. وهو يفعل كل ما يبغي فعله دون وازع من ضمير...

الغرفة عفنة الرائحة ملأى بالقذارة.. لكنّ (إيجور) راح يخرج محتوياتها ويبعثرها في كل صوب..

ثم إنّه راح يبتعد عن الغرفة.. يهبط في درجات السلم حتى خرج من القصر تمامًا..

وحين وقف بالخارج كان الزنجي ما زال يلوح بالمطواة.. لكنّ عيناه مفتوحتان بلا هدف.. فمه كذلك مفتوح بلا هدف واللعاب يسيل منه...

لاحظ زميلاه - في رعب - أنه ليس على ما يرام، فهزه أحدهما في عصبية.. وتساءل الآخر ملهوفًا:

- «(بيري).. ماذا دهاك يا رجل؟»
لكنّ (بيري) ظل صامتًا كالبرغوث...
ابتسم (إيجور) وقال للفتيين الزنجيين:
- «إنّه لن يعود لعالمنا عما قريب.. والآن يا شباب.. من التالي؟»
تراجع الفتيان في هلع حتى إن أحدهما أسقط صفيحة القمامة أرضًا.. وتحت حذائه انهرست علب الحليب الفارغة وقشور الموز وبقايا الصلصة..
وهتف وهو يرمق (إيجور):
- «بحق السماء.. من أنت يا رجل؟.. أنت الشيطان ذاته.. بالتأكيد أنت هو!»
وصاح الآخر واللعاب يتناثر من فيه:
- «هل ترى الدم الخارج من منخريه؟.. إنّه هو!»

دم؟ تحسس (إيجور) أنفه فوجد دماء طازجة هناك.. غريب هذا!.. إن الاختراق يزيد من ضغط الشعيرات الدموية في دماغه دون شك....

هنا كان الزنجيان قد جرا زميلهما جرًا.. ووليا الأدبار مبتعدين.. راقبهما (إيجور) شارد الذهن، ثم انحنى ليلتقط المطواة التي نسياها في فرارهما على أرض الزقاق..

ما إن أمسكها حتى سمع صوتًا يقول في ذهنه:

«هلمّ يا دمية.. ليست مطواة غالية الثمن.. هى قادرة على أن تقتل فيلًا وتجعلك ترى أحشاءه..»

كان يعرف الآن تفاصيل شراء هذه المطواة.. البائع هو وغد يدعى (شيكو)..

وقد تم البيع يومًا ما منذ شهرين.. وهذه هي أول (عملية) تستعمل فيها...

هذا غريب!.. موهبة أخرى يعرفها عن نفسه...

نفسة التي تحولت إلى صندوق مفاجئات يبهره كل يوم...

* * *

- ١٥ -

طاخ طاخ طاخ!.. (حتى في الظلام)...
طاخ طاخ طاخ!.. (وأكثر.......)...

هذا ليس جزءًا من الحلم.. إنّه حق.. هناك من يقرع الباب في فظاظة.. طاخ طاخ!...

قرص المنبه الفوسفوري يلتمع في الظلام.. الثالثة صباحًا.. لا أحد يأتي في الثالثة صباحًا ويضرب الباب بدلًا من الجرس.. ويكون صديقًا آتيًا لغرض ودي...

أضاء الأباجورة.. ونهض يتلمس طريقه إلى الباب وهو يحكم غلق الروب حول خصره..، وخلف الباب وقف ينصت هنيهة



كان يعرف الآن تفاصيل شراءِ هذه المطواة ..

إلى أفكار الواقفين بالخارج:

«لابد أنه هنا.. ثمّة صوت حركة...»

«لن يقاوم.. فهو مسالم عادة.. ثم إن رؤيته للشارة كاف جدًّا..»

شارة؟.. إن هناك أمرًا بوليسيًا يحيط بكل هذا.. ولكن لماذا؟.. مستحيل أن يكون ذلك بصدد عصابة السود إياها.. فلا أحد يعرف من هو ولا عنوانه.. إذن ماذا حدث؟

مد يدًا حذرة وعالج مزلاج الباب.. ليخاطب الواقف بالخارج من فوق سلسلة الأمان..

رأي وجهًا صارمًا مربعًا له ذقن مشقوقة، وأنف مشوه كأنف الملاكمين.. وجه رجل لا يمزح في العادة..، ورأى تحت ذقن الرجل شارة لم يتبين ما هي لكنّها تظهر

النسر الأمريكي (الحكومي) إياه.. كان الرجل يظهر شارته له..

- «مستر (إيجور تاركوفسكي)؟»

- «أنا هو..»

بارتباك قالها.... كان يمقت الكيان الحكومي ويخشاه بطبعه..

- «أنا من مكتب الاستخبارات المركزي.. الـ (FBI).. هل تسمح لي ولزميلي بالدخول؟»

- «إنها الثالثة بعد منتصف الليل..»

- «إنّه أنسب وقت لما نريد مناقشتك فيه..»

قال الرجل الآخر الذي لم ير (إيجور) وجهه:

ـ «ثم إنك وحدك هاهنا.. نحن نعرف هذا..»

كان صوته وقورًا رصينًا.. بل يتظاهر بالوقار والرصانة ليبدو غاضبًا.. لكنّ (إيجور) عرف أنه يكذب.. لم يراقبه أحد لمعرفة ما إذا كان وحيدًا أم لا.... وعرف كذلك أنهما من الاستخبارات حقًّا....

لكنه ـ على العموم ـ أزاح سلسلة الأمان وسمح للرجلين بالدخول.. كانا متأنقين تلك الأناقة المبالغ فيها والتي لا تنجح في مداراة الشراسة والعضلات القوية.. أناقة (البودى جارد).. إنها أشبه شيء بشراء بدلة غالية الثمن لغوريللا...

قال الرجل الأول مربع الذقن وهو يتأمل الشقة:

ـ «إننا قد جئنا ها هنا لنقدم لك عرضًا لا يُمكنك رفضه.. وزملاؤنا يقومون بذات الشيء في أماكن أخرى..»

جلس (إيجور) واضعًا ساقًا على ساق.. لن يعرض عليهما شرابًا فالأمر لا يحتمل المجاملات.. لاحظ أن الرجل الثاني ذا الصوت الوقور قد أشعل لفافة تبغ دون أن تكون هناك مطفأة بجواره، فنهض ليضع جواره واحدة بطريقة تحمل شيئًا من اللوم...

وقال في تؤدة:

ـ «أكون شاكرًا لو دخلت في الموضوع دون مقدمات..»

ـ «لك أن تراهن على ذلك.. لقد قام مكتب الاستخبارات المركزي بعمل دراسة

مفصلة عنك وعن تاريخ حياتك منذ جئت إلى (الولايات) عام ١٩٤٢ وحتّى اليوم..، ونحن نعرف أنك إنسان خارق للعادة يا مستر (تاركوفسكي).. ولا أشك لحظة في أنك تعرف ما نريد منك.. حتى قبل أن نتكلم..»

كان (إيجور) بالفعل قد فرغ من قراءة ذهنيهما..

إن الرجلين قد جاءا لتجنيده.. تجنيده ضمن سلاح جديد يعمل بالتنسيق مع (وكالة المخابرات المركزية).. هذا السلاح يعتمد على ذوي الإدراك الفائق للحواس..

لقد تم تجنيد رفاقه.. والمصدر متاح للجميع ألا وهو ملفات د. (مالكولم) الخاصّة بدراسة (الباراسيكولوجي)..

إن الفريق يضم الآن القادرين على قراءة الأفكار.. والقادرين على التخاطر.. ومن يحركون الأشياء عن بعد، لكنّ (إيجور) هو الطائر النادر ها هنا.. إنّه موهبة لا شك فيها ومكسب حقيقي للفريق..

وهم يريدونه...

الجنرال (فرايدمان) يريده...

قال (إيجور) في فتور وهو يسترخي للوراء:

- «ولماذا تريدون فريقًا كهذا؟!»

قال الرجل مربع الذقن في بساطة:

- «لأن السوفييت يملكون فريقًا مماثلًا..»

* * *

نعود بالقارئ إذن إلى هذه السنوات الصاخبة في بداية ستينات هذا القرن[2]..

كانت القوتان العظميان ـ الشرق والغرب ـ على غير وفاق منذ نهاية الحرب العالمية الثانية... الاتحاد السوفييتي سيطر على أوروبا الشرقية بقبضة من حديد وانزوى وراء ما سمّاه (تشرشل) بـ (الستار الحديدي).. أمّا الولايات المتحدة الأمريكية فراحت تبشر بسلام أمريكي الطابع تسميه هي: (العالم الحر).

إلى هنا كانت الأمور مستقرة....

لكن الأوضاع دخلت منعطفًا مرعبًا في ٢ مايو ١٩٦٠.. منعطفًا كاد يودي بالعالم إلى الحرب النوويّة التي يرهبها الجميع..

سقطت قرب (كييف) طائرة أمريكية للاستطلاع والتجسس من طراز (ي - ٢)، بعد ما تمكنت الصواريخ السوفيتية من إصابتها.. ولسوء حظه نجا قائدها (فرانسيس باورز) من الهلاك لتستجوبه السلطات السوفيتية، وتعرف كل شيء عن حقيقة مهمته.. وتجد صورًا لمنشآت عسكرية قام بتصويرها من الجو...

وثار (خروشوف).. وقام العالم ولم يقعد.....

وحين التقى القطبان (إيزنهاور) و(خروشوف) في قمة (باريس) في ١٤ مايو (بعد الحادث بعشرة أيام)، ثار (خروشوف) ثورة عارمة ووجه إهانات

مشينة لـ (إيزنهاور)، لكنّ هذا الأخير تلقى الإهانات ببرود.. وقال:

- «إن التجسس لهو من حقائق الحياة!»

وانتهى الأمر بتصعيد الموقف، أطلقت (روسيا) صاروخًا ضخمًا إلى الفضاء كتحد واضح للأمريكيين، وأعلن (جروميكو) وزير الخارجية أن الصوارخ النوويّة السوفيتية قادرة على الوصول إلى أي مكان في العالم....

وفي ٧ أغسطس من نفس العام ازداد الطين بلة حين وافق (فيدل كاسترو) على قبول صواريخ سوفيتية في (كوبا)..

إن (كوبا) هي على مرمى حجر من الولايات المتحدة.. وقبول صواريخ فيها يعني تهديد أمن أمريكا في مقتل..

لقد ظل نظام (كاسترو) الشيوعي المتعصب يشكل صداعًا للحكومة الأمريكية، وإن تورط المخابرات الأمريكية في عملية (خليج الخنازير) لمثال واضح لكراهية أمريكا لـ (كاسترو)..

وفي العام الحالي - ١٩٦٢ - حلقت طائرات التجسس الأمريكية فوق (كوبا)، ووجدت قواعد للصواريخ السوفيتية هناك..

وقد تعهدت (روسيا) بسحب هذه القواعد مقابل أن تتعهد (أمريكا) بعدم غزو (كوبا)، وبسحب قواعد صواريخها في (تركيا)..

هذه هي الصورة للموقف الدولي في ذلك الوقت، وهي صورة معتمة لها رائحة

الموت ومنظر (عش الغراب) المميز للسحب النوويّة..
لكن العملاقين كانا يعرفان متى وأين يتوقفان..
أما (إيجور) فلم يكن يعرف....

* * *

نظر (إيجور) إلى الرجل مربع الذقن في تحد..
وسأله:
- «وماذا يرغمني على قبول هذا التجنيد؟»
قال الرجل وهو يبحث في جيوبه عن علبة تبغه:

- «لاشيء.. إن حرية القبول أو الرفض مكفولة..»

- «إذن أنا أرفض..»

كان الرجل قد وجد علبته، فأشعل لفافة تبغ بقداحة ذهبية.. ثم أخرج خيطًا دخانيًا من أنفه.. وقال:

- «إذن يمكننا الانصراف.. لكنّ دعني أذكرك بأنك بولندي وأنت تعرف معنى هذا.. يمكن للكثيرين في مكتبنا أن يتصوروا - وهذا خطأ طبعًا ـ أنك تدين بالولاء للاتحاد السوفييتي.. إن هذا يحدث كثيرًا.. وعندئذ.. ربما وجدوا لديهم أدلة تتهمك بالشيوعية..»

تصاعد الدم إلى رأس (إيجور):

- «أنت تهددني في داري متظاهرًا بالتفاهم..»
- «بل أقول لك ما قد يحدث..»
- «أنا ترعرعت في أمريكا، ونسيت كل شيء عن (بولندا)...»
قال الرجل الثاني وهو يدخن لفافة تبغه:
- «لا توجد حلول وسط هنا.. أنت لست معنا.. إذن أنت ضدنا..»
تثاءب (إيجور) ووقف يلملم أطراف الروب على جسده، ثم اتجه إلى باب الشقة ففتحه.. وقال ببرود:
- «إن حديثكما شائق أيها السيدان.. لكنكما تريان أن النعاس يمنعني من الاستمتاع الكامل به.. لهذا.. لو سمحتما......»

أطفأ الرجل ذو الذقن المربع لفافته بدوره.. ثم نهض.. وعيناه لا تفارقان (إيجور) الواقف جوار الباب ينتظر..

وببسمة ذئبية غمغم:

- «إنك لا تدري ما سنقدمه لك يا سيدي..»

لكنّ (إيجور) عرف ما يعنيه.. سمع الكلمات واضحة تتردد في ذهنه.. وعلى الفور رفع عينه نحو الرجل.. وتساءل:

- «أنتما تعرفان مكانه؟»

- «نعم...!»

كانت الكلمات التي سمعها في عقله تقول بصوت وقور:

«نحن نملك أن نقودك إلى (سيدلتزجابلر)!»

* * *

- ١٦ -

- «إنك لن تقبل هذا يا (إيجور)..»
- «بل لن أقبل سوى هذا..»

كانت (لارا) واقفة في المطبخ تعد بعض القهوة والبسكويت لهما، وكان شعرها الأشقر منتثرًا في غير نظام على كتفيها.. لكنّ (إيجور) لم يرها أجمل من هذا في حياته..

قال لها وهو يخرج دورق اللبن من الثلاجة:

- «تصوري هذا..! منذ كنت في الخامسة من عمري وأنا انتظر لقاء هذا الرجل.. (سيدلتز جابلر).. الذي قضى على قومي

وأذلهم.. الذي جعل أمي تركض حافية القدمين بثياب البيت في الطرقات.. وبرغم هذا لقت حتفها..»

- «أنت تبالغ.. لم يكن يفعل سوى ما أمروه به.. كان جنديًا..»

- «هراء!»

قالها في اشمئزاز.. وأردف:

- «إن الجندي يفعل ما يؤمر به.. لكني أشك في أمره إذا ما أظهر قدرًا زائدًا من الحماس لإرضاء ساديته الخاصّة.. وحين يقتل الجندي امرأة أو طفلًا لا أقول إن رؤساءه أمروه بذلك.. بل أعتبره سفاح حرب.. وحشًا آدميًا يجب أن يُباد..»

- «مضى ردح من الزمن على هذا..»

- «جرائم الحرب لا تسقط مع الزمن.. واليهود يطاردون جنرالات النازي حتى هذه اللحظة انتقامًا.. هل تعرفين لماذا نسي العالم (سيدلتز جابلر) هذا؟»

- «لماذا؟»

- «لأنّه لم يقتل يهوديًا.. ولو فعل لعرف هؤلاء كيف يقتصون منه..»

تنهدت (لارا) في استسلام.. وبدأت تصب القهوة زكية الرائحة في قدحين.. ثم سألته:

- «ألم تتلصص على أفكار رجلي المكتب الفيدرالي هذين؟»

كان قد صارح (لارا) بالحقيقة منذ شهور.. ولم تصدق حرفًا بالطبع برغم أنّ هذا يفسر لها الكثير من تصرفاته.. لكنّها راحت تجاريه في حديثه عن (الاختراق) هذا..

قال لها وهو يتناول قدحه:

- «لم يكونا يعرفان مكانه.. فهما ليسا حمقى.. لابد من سبيل للضغط على.. ولن يكون هناك ضغط إذا ما عرفت موضع الجنرال..»

- «إذن أنت ذاهب لتقابل....»

- «نعم.. جنرال (فرايدمان).. الآن ودون تأخير..»

ووضع القدح.. وتناول معطفه...



ـ « تصورى هذا .. ! منذ كنت فى الخامسة من عمرى
وأنا أنتظر لقاء هذا الرجل ..

* * *

كان الجنرال (فرايدمان) رجلًا في منتصف العمر تلوح عليه أمارات النعمة والرضا عن النفس.. أميل للبدانة.. يرتدي ثيابًا مدنية أنيقة.. وله أظفار منسقة نظيفة لفتت نظر (إيجور) بشدة.. إن شخصًا يملك هذه الأظفار هو شخص لا يمكن العبث معه...

قال الجنرال وهو يصب قدحين من الشراب:

- «كن على سجيتك يا مستر (تاركوفسكي).. إن كوني جنرالا لا يعني شيئًا.. ليس هذا هو المكان العسكري

الصارم الذي تتصوره.. إن جونا هنا أسرى بمعنى الكلمة..»

كان على حق.. فالمكان شديد الأناقة.. يوحي بالاسترخاء والمودة.. وكانت هناك نافذة كبيرة تشكل جدارًا بأكمله يستطيع (إيجور) منها أن يرى (مانهاتن) كلها.. وثمّة (أنتريه) مريح مزدحم بالطنافس.. ومكتبة على شكل كرة تتوسط الغرفة..

لكن المكان يعجّ بأجهزة التسجيل....

عرف (إيجور) هذا وأحس به على الفور...

كان ردّه بليغًا وعمليًا.. إذ نهض واتجه في هدوء إلى لوحة تمثل إحدى مذابح (ديلاكروا) الشهيرة، وانتزعها من مكانها، وبيد واثقة مزّق سلك وسماعة جهاز

التنصت الموجود خلفها.. ورماهما أرضًا...
ثم مد يده إلى منفضة التبغ المعدنية، ورفع يده يبغى قذفها على عدسة الكاميرا المصوبة على المكان، والتي اتخذت شكل كشاف صغير..
- «توقف!»
قالها الجنرال في حزم.. ثم أردف متلطفًا:
- «إن كل هذه الأشياء من أموال دافعي الضرائب.. وهي ليست رخيصة الثمن..»
عاد (إيجور) إلى الجلوس وهو يرمق الجنرال في تحد.
ضحك الجنرال وناوله قدحًا من الشراب.. ثم قال:

- «أنت موهوب حقًّا.. موهوب.. قدرات غير عادية..»

جرع (إيجور) من قدحه.. وغمغم:

- «ترى إذن يا سيدي أن الجو ليس أسريًا جدًّا.. فلا داعي لإضاعة الوقت في المجاملات.. أنا لا أرتاح لكم وأنتم لاتثقون في.. فلنتحدث في الأعمال الآن..»

- «هووم.. أنت رجل واقعي وهذا يسرني..»

قالها الجنرال وهو...

(لكنّ ذهنه خاوٍ تمامًا هو الآخر)

يشعل سيجارًا ويطفئ النور..

كانت هناك شاشة ما.. عليها رأي (إيجور) خريطة لجنوب الولايات المتحدة، وعليها راح الجنرال يشرح الموقف...

* * *

بعد ما فرغ الجنرال من شرح الأمور؛ قام يقرع جرس بجانبه.. وتحدث في جهاز (الديكتافون):

- «(صمويل).. هات باقي أعضاء الفريق..»

وبعد هنيهة.. رأى (إيجور) الباب ينفتح ويدلف منه أولئك الذين نسي كل شيء عنهم منذ عامين..

(جيف) الزنجي.. (شندلر) الألماني.. (ماكجافن).. د. (مالكولم).. كلهم من جديد وبالطبع لم يكن (هاثاواي) بينهم.. وكان معهم اثنان آخران يراهما للمرة الأولى....

صاح (جيف) ما إن رآه.. بصوته الزنجي الذي يضغط على المقاطع:

- «هيه يا رجل! مر وقت طويل.. أعطني خمسة يا جدع!»

[أعطني خمسة] هي الكناية الأمريكية عن المصافحة.. تتلو تلك مصافحة خشنة فظة أشبه بالمصارعة..

بعد العديد من المصافحات واللكمات، قال الجنرال:

- «كما ترى يا مستر (تاركوفسكي).. هذه هي مجموعة الـ Espers التي تعمل معنا، ولا أخفي سرًا إذا قلت: إنكم لن تلتقوا مرّة أخرى..»

نظر إليه (إيجور).. بعد قليل تساءل:

- «أين الجنرال؟»

- «آه!.. تعني جنرال (سيدلتز جابلر)؟.. نحن نعرف مكانه بدقة، لأننا نعرف أنه الطريقة الوحيدة لإقناعك.. إنّه في دولة ما.. عملاؤنا هناك يعرفون كل شيء عنه.. لكننا لن نخبرك به إلا حين نفرغ مما نريده منك.. إنها صفقة كأية صفقة أخرى.. ولا أحد يقبل دفع ثمن شيء حصل عليه فعلًا»

وابتلع ريقه مفكرًا.. ثم أردف:

- «بل نحن على استعداد لأن نسهل لك اغتياله لو أردت.. أو نصفيه جسديًا بمعرفتنا.. لكني أظن أنك تفضل القيام بهذا شخصيًا..»

- «هذا لطيف منك.. وماذا عن اختراق عقولكم لمعرفة مكانه؟»

ابتسم الجنرال فغدت عيناه أخبث وأضيق:

- «لو استطعت لفعلت.. لكنّ الحقيقة هي أنني ومن حولي لا نعرف شيئًا عن هذا.. عبثًا تحاول اختراق أذهاننا..، إن كل المعلومات عن الجنرال (جابلر) موجودة في ذهن (بيتر شندلر).. هو الوحيد الذي يعرف كل شيء عن مواطنه.. لكنّ عقل (بيتر) مستحيل الاختراق كما تعلم لأنّه Esper سلبي إلا أن (بيتر) سيخبرك بكل شيء في الوقت المناسب..»

يا لكم من أوغاد!.. لقد أحكمتم حصاري حقًّا..!

وقف الجنرال وسط أسراه يبتسم.. ثم رفع يده كأنه يعلن عن مفاجأة حفل.. وهتف:

- «الآن يا شباب.. مهمتنا هي الإجابة على السؤال التالي: هل توجد قواعد صواريخ ذات رءوس نوويّة في (كوبا) أم لا؟!»

* * *

في الأيام التالية حضر (إيجور) دورة مكثفة في اللغة الروسية ـ ما أعقدها لغة! ـ كي يفهم ما يفكر فيه الروس.. بالطبع هؤلاء يفكرون بالروسية، وكان اثنان من الفريق يحضران دورة مكثفة في اللغة الأسبانية...

بالطبع كانت الدورة مركزة حول مصطلحات مثل (صاروخ ـ نووي -

بارجة ـ حلف شمال الأطلنطى - قواعد - تجسس).. حتى تمنى (إيجور) لو يعرف معنى كلمات (حب - زهور - شعر - غروب) بالروسية.. لكنّ أحدًا لم يعره اهتمامًا...

* * *

الهدف هو مقهى في (واشجتون) يتردد عليه بعض الرجال من أصل سوفييتي...

الرجل ذو الشارب الكث الأحمر هو مهندس من (كييف).. اسمه (أندريه إيزاكوف).. الحقيقة التي يعرفها الجميع هي أنه ضابط بالمخابرات السوفيتية: (كي

- جي - بي) اسمه (إيفان زاروف).. وهو رجل ذو حيثية في عمله...

إنه لا يثير ضوضاء حوله، ولا يقابل أحدًا من العملاء، أمريكي الجنسيّة لأنّه يعلم أن وضعه محفوف بالشكوك..

نحن نراقبه منذ عام دون جدوى.. فالذئب حذر جدًّا.. يراقب كل شيء دون ردود أفعال.. لا يرسل خطابات ولا رسائل لاسلكية.. ولا يلتقي بأحد..

هذه المرّة لا نريد الإيقاع به..

نريدك أنت يا (إيجور) أن تخترق عقله.. وتعرف كل شيء عنه.. وكل خطة تختمر في ذهنه.. إنه يعرف الكثير حتمًا..

ونريد أن نعرف هذا الكثير..

نفذ...!

* * *

الجزء السادس

(واشنجتون) - ١٩٦٢

- ١٧ -

كعادته في الأسبوعين الأخيرين؛ راح (إيجور) يتردد ليلًا على مقهى (كارديف) ليتناول قدحًا أو اثنين من الشراب.. وبالطبع يختلس نظرة أو اثنتين نحو المائدة الصغيرة التي يجلس عليها (زاروف) يدخن... وقد وضع أمامه زجاجة من (الفودكا) وراح ينظر أمامه في ثبات..

لم يكن يتحدث أبدًا..

أحيانا كان أحد السوفييت المتأمركين يجلس معه إلى المائدة.. فلم يكونا يقولان شيئًا.. مجرد تعليقات سطحية على الشراب أو نوعية الموسيقا الدائرة...

لو كان هناك من يتنصت على كلامهما لوجد في نفسه خيبة أمل.. لكنّ (إيجور) يختلف.. إنّه يسرق الأفكار ذاتها من رأسيهما..

يتردد صوت الخطوات في الردهة، ويدوي صوت خشن غليظ النبرات يتحدث بالروسية:

«إن هذا المقهى كئيب للغاية.. سئمت رواده وشرابه وموسيقاه.. لكنّها التعليمات.. هذا هو مكان اللقاء.. سوف يضع (بوريس) الميكروفيلم تحت الكأس.. ثم ينصرف بدعوى أنه شرب كثيرًا.. بعد هذا ينتقل الميكروفيلم إلى جيبي.. لا أحد يمكن أن يلاحظ ما يدور مهما كان دقيقًا.. هيه! إن هذا الأشقر

ذا الأنف الغريب يتردد على المقهى بانتظام مريب.. لا يبدو عميلًا أو جاسوسًا.. لكني لا أرتاح له..

لقد رأيت عينيه ترمقاني باهتمام أكثر من مرة.. إيه يابن الشيطان.. إنك لن تعرف شيئًا ولن تفهم شيئًا.. لن تفهم حتى أرسل الميكروفيلم إلى الخارج وراء طابع البريد الملصق على مظروف.. إن الخطاب مُرسل إلى (فرنسا) فلن يشك أحد في أمره.. ولا أحد يكلّف خاطره بانتزاع الطوابع من فوق المظاريف المرسلة إلى الخارج.. إن (ميخائيل بوكانوف) رجلنا في (فرنسا) ليس هينًا، ولكن.. أكاد أقسم أنّ هذا الفتى يراقبني! للمرة الثانية في دقيقة واحدة

أرفع عيني فأرى عينيه تتفحصاني.. ولكن صبرًا.. ليس جديدًا أن يكون كل رجال المخابرات المركزية في إثري.. ولكن دعهم يميزون شيئًا مما أفعله.. هذه هي البراعة الحقيقية..»

كان هذا نصرًا في حد ذاته بالنسبة لـ (إيجور).. من الممكن في أية لحظة أن ينقض رجال الشرطة على المائدة ليجدوا (الميكروفيلم) تحت قاعدة الكأس، ويقبضوا على (زاروف)..

لكن (إيجور) كان يبحث عن شيء أكبر من مجرد جاسوس يتم القبض عليه.. كان يفتش في ذهن (زاروف) عن المزيد...

راحت الأفكار الثرية تتوالى.. يسمعها (إيجور) تدوي بالروسية في دهاليز القبو:

«حين نفرغ من هذا الموضوع: لن يكون هناك مجال للحديث عن صواريخنا ذات الرءوس النوويّة في (كوبا)..، إن (كاسترو) يعرف كيف يعالج الأمور عنده.. ثم إن خبراء التمويه السوفييت الذين يصلون هناك بعد غد سينجحون في خداع الاستطلاع الأمريكي تمامًا..»

هل هذا مهم؟

إذن اصغ إلى ما سيقال بعده:

«يجب الاتصال بـ (جون ديوي).. إن علاقاته في وزارة الدفاع ستتيح لنا المزيد من.. رباه! إنك لا تضم جنرالًا إلى عملائك كل يوم.. إنّه الصيد ثمين.. لكنّ الاتصال به ليس متاحًا إلا عن

طريق (القناة السرية).. و... إن هذا الرجل مصر على مراقبتي.. دعه يفعل.. كم أن منظره غريب!.. لا يبدو لي أمريكيًا.. كأنه من شرق أوروبا.. يتظاهر بأنه لا يلاحظني.. يدفن وجهه في كأسه.. هذه حيل قديمة يا فتى لا تخدع رجل مخابرات مثلي..»

هل هذا كاف بصورة مرضية؟

خذ عندك المزيد من الأفكار:

«(أولجا).. ملاكي.. ماذا تعملين في (كييف) في هذه اللحظة؟ عامان كاملان لم أر فيهما وجهك الحزين الشفاف.. و.. هل عاد ذلك الوغد (سيرجي فلاسوف) يحوم حولك؟ ابن الـ.. أنا أعرف أنك لن.. ولكن الفراق قد يسبب

الـ.... هل بدأت عواطفك تميل نحوه؟ لا يا (أولجا).. أنا أعرف أن...... سوف أحضرك لتعيشي هنا معي.. في (واشنجتون).. وعندئذ.. الويل كل الويل لـ (سيرجي فلاسوف) لو مس إصبعًا من......»

هو ذا العميل السوفييتي قد بدأ يجنح للرقة.. يبدو أنّ هناك إنسانًا وراء مركز المعلومات الآدمي هذا..

وهنا رأى (إيجور) (بوريس بودونسكي) يدنو من المائدة..

كان يعرفه جيدًا.. فقد رآه مرارًا في الفترة الأخيرة.. كان أصلع الرأس عوّض صلعه بإطالة ما تبقى من شعره ليتهدل على كتفيه.. بنيًا ناعمًا، وكان يرتدي

سويترًا جلديًا لامعًا ويلوك العلكة على سبيل (التأمرك)..

جلس - كالعادة ـ إلى مائدة (زاروف).. وحياه:

- «دوبرى فتشير تافاريتش»

- «دوبرى فتشير..»

طبعًا لا داعي للقول أنّ هذا معناه مساء الخير يا (رفيق) بالروسية..

- «سادي تيس..»

- «سباسيبا.. يا جالودين..»

ـ «بوتيلكوفينا؟»

ـ «دا.. دا.. سباسيبا..»

المحاورة التقليدية: اجلس.. شكرًا.. لكم أنا ظمآن.. هل لك في بعض الخمر..؟ نعم شكرًا.. نذكرها للمهتمين باللغة الروسية.

ثم بدأ الحوار الهامس من خلف شفتين شبه مطبقتين.. ودون أن تتلاقى النظرات (دعونا نسمعه مترجمًا):

- «لا أرتاح كثيرًا لهذا الأشقر هناك..»

- «هذا؟.. لقد رأيته في الأيام السابقة..»

- «أكثر من اللازم.. هذا هو ما أريد قوله..»

فكر (إيجور) في مغادرة المكان.. ثم رأى أنّ هذا يدعو إلى الشك أكثر.. فهو - من المفترض - لا يسمع ما يُقال بشأنه...

المهم ألا ينظر.. وليتابع الحوار والأفكار في اهتمام...

قال (زاروف) بذات الصوت الهامس:

- «لن تكون هناك (معاملات) حتى نعرف من هو..»

- «ليكن..»

- «نلتقي في...»

وعرف (إيجور) أن (زاروف) يخرج ورقة.. ورأى بعين ذهنه رسمًا كروكيًا يوشك أن يُرسم على الورق.. ما زال الرسم في عقل (زاروف) الذي يحاول ألا يتكلم قدر الإمكان.. وكالعادة سيلي هذا حرق الورقة التي عليها الرسم....

بحركة غريزية نظر (إيجور) من فوق كتفه إلى الورقة التي في يد (زاروف).. لم يكن لهذا معنى ولا داع.. فهو يعرف جيدًا محتوى الرسم قبل أن يرسم..

لكنه قابل عيني (زاروف) الحادتين ترمقانه في اهتمام...

وفي ذهنه سمع صوت السوفييني يتردد:

«هووم! هذا غريب!»

عاد (إيجور) إلى جلسته يتظاهر بأنه زبونٍ عادي برىء.. لكنه أحسّ بأنه قارف خطأً فادحًا.. خطأ لم يدرك مداه إلا حين سمع (زاروف) يهمس لرفيقه:

- «هل لاحظت ما حدث؟»



فكر (إيجور) فى مغادرة المكان .. ثم رأى أن هذا
يدعو إلى الشك أكثر ..

- «لقد سمعنا!.. عرف أنني سأحدد لك موقع اللقاء!... كيف استطاع هذا؟»
- «ربما هناك مكبرات صوت تحت المائدة أو.....»
- «حتمًا لا.. إنني حريص على تبديل المائدة في كلّ مرّة ومصباح جهاز (الكشف) لم يتألق.. أعتقد أنّ هذا الفتى... لا أدري.. كأنه يقرأ أفكارنا!»
- «(إيفان).. لا تكن سخيفًا..»
- «وأنت أغبى من مستنقع بما لا يقاس.. أقول (كأن).. وإن كنت لا أدري كيفيّة سماعه لهمسنا هذا.. حتى مع أدق وسائل (التكنولوجيا) يحتاج هو إلى وسيلة (استماع)..»
- «لا شك أنها مصادفة..»

- «أظن هذا...».

كانت هذه هي النقطة التي عادت فيها الدماء إلى (إيجور).. فاستراح بمرفقيه إلى المنضدة وتنهد تنهيدة الخلاص.. غير متوقّع أنّ هذا هو الخطأ الثاني..

من جديد ينظر له (إيفان) في شك ويقول لمحدثه:

- «هل رأيت هذا؟»

- «ماذا؟»

- «لقد بدا عليه الارتياح وتنهد مسرورًا حين أنهينا الحديث عنه.. إن هذا الرجل يسمعنا وأقسم على هذا بقبر أمي..»

- «ألا ترى أنك تبالغ؟»

- «بلى.. أنا أبالغ.. لهذا صرت ما أنا عليه.. لأنني أبالغ.. ولا أترك التفاصيل

الدقيقة تمر..»
ومد يده إلى علبة تبغه.. فأخرج لفافة هشم (الفيلتر) الخاص بها، ودسها في مبسم فاخر كعادته.. ودس هذا الأخير بين شفتيه ووقف..

- «إلى أين أنت ذاهب؟»
- «لحظة.. أعود بعدها إليك..»

وفي ثقة مشي نحو المنضدة التي يجلس (إيجور) إليها.

❋ ❋ ❋

راح (إيجور) كالمحموم يفتش في ذهن (إيفان) ليعرف ما ينوى هذا الأخير عمله.. لماذا يتجه نحو مائدته؟

وكان ما سمعه غير مطمئن بالمرة:

«*يمكننا الانتهاء منه سريعًا دون مشاكل.. ضغطة على هذا (الفيلتر) من وراء ظهره، وتنطلق إبرة (السيانيد) لتستقر في عنقه.. سيموت دون ضوضاء.. ولن يعرف أحد أبدًا من فعل ذلك.. إن من أرسلوه سيعرفون.. لكنهم لن يستطيعوا إثبات شيء.. ضغطة واحدة يعرف بعدها مدى تقدم المخابرات السوفيتية.. هيا!*»

أجفل (إيجور) ونهض من مقعده كمن داس سلكًا كهربيًا.. تراجع بضع خطوات للوراء ليصطدم بالعميل السوفييتي، وقد وقف يرمقه في ثبات وأسنانه تلوك المبسم

في إصرار.. وعلى ثغره ابتسامة ذئب لو أنّ الذئاب تبتسم..

بلغة إنجليزية مهشمة قال له:

- «معذرة يا رفيق.. أرجو ألا أكون قد أفزعتك.. يبدو أن نوع التبغ الذي أستعمله لا يروق لك!»

دمدم (إيجور) ببضع كلمات، وعاد إلى الجلوس..

في حين مشى (إيفان) عائدًا إلى مائدته، حيث كان (بوريس) ينتظره وعلى وجهه علامات الغباء (أغبى من مستنقع) على حد قول (زاروف)..

جلس (زاروف) في تؤدة إلى المائدة.. وصب لنفسه بعض (الفودكا).. ثم قال بصوت غير خفيض لزميله:

- «تجربة مقنعة.. كنت على حق!»

- «في أي شيء..؟»

- «هذا الرجل يقرأ أفكارنا.. إنّه ليس إنسانًا عاديًا.. إنّه فائق للحواس.. Esper كما يقول الأمريكان!!»

..........................!

* * *

- ١٨ -

قال (زاروف) لصديقه:

- «أردت أن أتأكد من شكوكي.. وضعت عقلي في حالة ذهنية خالصة؛ لأقنعه أنّ هذا المبسم البريء يحوي سهما سامًا.. والنتيجة هي ما رأيت أنت.. لقد وثب مذعورًا؛ ليتفادى السهم.. كأن هذا الأحمق يحسبنا من الغباء إلى حد قتلة هنا.. يبدو أنه يقرأ الكثير من الروايات الجاسوسية الرديئة حيث يقتل الناس بعضهم بأشياء تنطلق من السجائر طوال الوقت..»

ثم مط شفتيه مشمئزًا:

- «إنّه ليس محترفًا على الإطلاق..»

تساءل (بوريس) في حيرة:
- «وموضوع الـ Esper هذا؟»
- «هذا موضوع قديم يا عزيزي.. ولدينا في الـ (ك - جي - بي) العديد من قارئي الأفكار هؤلاء.. لهذا لا أجد الأمر غريبًا كما تجده أنت..»
ثم بصوت جاد هذه المرّة:
- «المهم الآن ألا تفكر في أي شيء.. لا تدعه ير شيئًا.. فكر في الأطفال.. في الرقص.. في الأرنبة (ماشنكا)..»
كان (إيجور) جالسًا في مقعده في أسوأ حال..
لقد كان أحمق.. والرجل كان عبقريًا إلى حد لا يصدّق.. والآن قد تورطت قدماه إلى حد مزرٍ في هذا المستنقع.. فلم يعد أمامه

سوى مغادرة المقهى قبل أن تزداد الأمور سوءًا...

سيقول للجنرال: إنّه فشل.. لكنه يعرف ما يكفي لهذا اليوم.. هناك صواريخ نوويّة.. وهناك (جون ديوي) في البنتاجون يتعامل مع السوفييت سرًا.. دعك من أسلوب (الميكروفيلم) وراء طوابع البريد.

أليس هذا كافيًا؟..

بلى.. وضع ورقتين ماليتين تحت كأسه ونهض لينصرف.

ولم يفته وهو يتجه لباب المقهى أن يعرف أن (زاروف) يرمقه في اهتمام.. وأنه يفكر عمدًا:

«صبرًا يا صديقي.. ولسوف نلتقي ثانية.. فالحقيقة هي أنك تعرف الكثير..

تعرف أكثر مما يجب..»

ثم سمعه يهمس لـ (بوريس):

- «هل سيارتك بالخارج؟.. علينا تعقب هذا البرغوث إلى جحره.. هيا بنا سريعًا..»

❋ ❋ ❋

الظلام في الخارج.. ومن بعيد تتناثر أضواء بعض الأندية الليلية.. رباه إن الطقس بارد.. والشارع خال تمامًا..

كان (إيجور) يلهث وهو يدسّ يديه في جيبي معطفه، ويخف السير نحو سيارته التي استأجرها منذ أسبوعين.. كان يعرف أن الرجلين يريدانه.. بل لم لا يقتلانه؟

إنهما لن يجدا مكانًا أنسب ولا ظروفًا أفضل..

لا لن يقتلاه.. إنّه يسمع الفكرة واضحة في ذهن (زاروف).. سيخطفانه لمعرفة من أرسله..

ومن ورائه ـ عند مدخل المقهى - رأى رجلين يخفان السير نحوه.. أحدهما أصلع الرأس بادي الضخامة..

بحث عن....

(أصابعي قد تجمدت!)

المفاتيح، وأولج مفتاح السيارة في الباب، ثم عالج (الكونتاكت).. لحظة ثقيلة مضت ولم يحدث شيء.. إنّه البرد.. المحرك يأبى أن يتحرك...

مرة ثانية..

(لن تكون هناك ثالثة)

عالج فيها المحرك.. و.. أخيرًا.. صوت الكروكروكرو المحبب ينبعث من السيارة.. الأنوار تضيء.. والوحش المعدني النائم يعود إلى الحياة واعدًا بحمايته..

ويبتعد عن مسرح الجريمة ـ الجريمة التي كانت ستحدث حتمًا ـ بسرعة لا بأس بها.. لكنه كان يرى ضوء سيارة الرجلين إذ تتحرك في إثره.. هذا طبيعي.. إن سيارات المطاردين لا تتعطل أبدًا.. سيارة الفرائس هي التي تتعطل دومًا..

الآن يندفع (إيجور) في شوارع (واشنجتون) وهو لا يبرح عينيه عن المرأة.. يرى فيها كشافي سيارة مطارديه يلتمعان في إصرار شرير..

إنهما لم يتركا له فرصة.. لم ينتظرا حتى يتصل برؤسائه.. وهو ليس بارعًا في القيادة إلى هذا الحد..

❋ ❋ ❋

راتاتاتاتاه!.. بوم!....
«هذه الناحية مغلقة»..
«اخرس.. إنك تثير أعصابي.. اخرس!»
راتاتاتاتاه!.. بوم!.. ثم ينزل الجنرال (جابر) نظارتية المقربتين عن عينيه....

❋ ❋ ❋

المطاردة مستمرة...

لكنها لن تطول..
لابد من عربة (لوري) أو سكير مترنح أو امرأة تتعلم القيادة تعترض سيارتها طريقه؛ فيضطر إلى ضغط الفرامل.. وعندئذٍ...
لن تطول المطاردة....
إنه لكابوس.. كيف تبدل الوضع بهذه السرعة؟ خلال ربع ساعة صار هو الفريسة التي يطاردها الغولان..
وهنا بدأ يعيد التفكير....
لم يكون هو الفريسة؟ لماذا يفر؟
إن (بوريس) هو من يقود السيارة.. فلماذا لا تحاول اختراق عقله؟ إنك تملك السيطرة التامة على عقول الآخرين.. فلن يكون (بوريس) طفرة..

لكن.. المسافة..

هل تستطيع عمل ذلك مع بعد المسافة بينكما - حوالي عشرين مترًا؟ - لم تجرب من قبل.. لكنّ هذا جدير بالمحاولة...

راح (إيجور) يرسل أفكاره نحو السيارة التي خلفه..

اخترق رأس (بوريس) الأصلع فوجد نفسه في رواق ممتد.. بهو القصر المعتاد.. كانت هناك أصوات فرامل ومحركات سيارة.. وأفكار اللحظة:

«صبرًا.. يحاول أن يكون بارعًا.. إنّه يأخذ المنحنى.. الأحمق!.. إن طريقه مسدود.. لن يقهر (بوريس بودونسكي) أبدًا..»

ومن بعيد تتعالى أصوات رقصة (البولكا) الروسية، وأنغام على (البالالايكا).. وتسيل أقداح من (الفودكا) يليها تهشيم الأقداح نفسها على حاجز المدفأة...

(إيكاترينا)!.. يا لها من إنسانة قاسية فظة.. أنت أصلع وهذا ليس ذنبك.. إنها مؤامرة من الهرمونات والجينات... لكنّها لا ترحم.. تضرب على صلعتك وتقهقه ساخرة..

(ملحوظة من د. (رفعت): إحم!...)

حصار (ستالنجراد).. كنت شابًا غض الإهاب.. وكنت ترتدي الخوذة وترتجف.. الجليد في كل مكان وفوقه بقع الدم.. هل النازيون لا يقهرون حقًّا؟ بالتأكيد.. إن (هملر) يفطر بعشرة جنود روس كل

صباح..، حين مات كل رجال الموقع وقفت وحدك رافعًا يديك تتوسل إلى الجندي الألماني:

- «باجالوستا.. باجالوستا تافاريشتش.. نت! نت!»

لكنه لم يفهم.. أشار إلى رأسه.. وغمغم:

- «إيش فرشتهه نيشت.. فاز زاجن زي؟»

وانطلقت الطلقات لتمزق كتفك.. لم تفهم ما قاله إلا بعد أيام.. ولم يفهم هو ما قلت قط[3]..

بعد الحرب.. العمل في جهاز (كي جي بي).. (ديمتري كالينين) وكل رجال الحزب.. ستكون عملينا في الولايات المتحدة يا (بوريس).. إنّه الموقع حساس..

كالعادة ستكون مُراقَبًا ولربما امتلأت غرفة نومك بأجهزة التنصت.. لكنك لن تظهر ما يثير الشك..

أخيرًا (إيجور) يقف أمام حجرة العقل الباطن الموصدة في عقل (بوريس بودونسكي)..

إنها مغلقة بإحكام بأفضل أنواع الأقفال الروسية.. لكنه كان يعرف ما يجب عمله..

كانت هناك دبابة (شيرمان) نارية تقف في الممر، وقد راح مدفعها يدور ببطء حول محوره... دبابة من أيام (ستالنجراد) تغطت جنازيرها بالجليد.. وفوق البرج برز (الجنرال) وقد غطى رأسه بفراء سميك..

كانت حية.. قادمة من أعمق ذكريات (بوريس)، وحينما رأى (الطوبجي) (إيجور) بدأ يعد المدفع للانطلاق.. ودار المدفع ليواجهه.. ثم......

انطلقت القنبلة لتهشم الباب.. بووووووم!

انفجار مروع اهتزّ له المكان.. وكان (إيجور) قد نجا.. لأن الأفكار ليس لها تأثير مادي..

لقد ملأ الدخان ردهات القصر.. صار الطريق مفتوحًا إلى النصر.. إلى قلب عقل (بوريس)...

ونظر (إيجور) إلى المرآة؛ ليرى ما يحدث في السيارة التي تقتفي أثره... لابد أن (بوريس) قد غاب عن الوعي الآن..

كانت تحيد عن الطريق.. يتعرج مسارها..
ثمة سيارة تعبر الطريق.. لكنّ سيارة السوفييت لم تنحرف ولم تبطئ من سرعتها.. و.....
التصادم!.. إنّه الجحيم بعينه...
السيارة تنقلب مرة.. مرّتين.. ثم تسكن وتشتعل النار فيها.. وظلام الليل يكتسب لون اللهب...
أدار (إيجور) مقود سيارته ليعود بها إلى مكان الحادث.. وأوقف المحرك وراح يرقب من زجاج السيارة الأمامي هذا المشهد المروع.. الحطام المحترق....
لقد غاب (بوريس) عن الوجود بينما هو يقود سيارته بسرعة ثمانين كيلومترًا في

الساعة.. إن مجرد احتراق سيارته ليعد نوعًا من الرحمة السماويّة.. كان ينبغي أن تتحول السيارة إلى سحابة من الغبار...

هذا الشيء المبتل.. آه! إنها الدماء تسيل من منخرية كالعادة...

وشعر (إيجور) بغصة.. لقد انتهى إلى الأبد هذا العقل الباطن.. بذكرياته وأحلامه وأحزانه.. بعد أن كان هذا موجودًا مجسدًا منذ ثوان...

هنا سمع صوت سرينة عربة الشرطة...

رأى ثلاث سيارات شرطة تحيط بالمكان.. وأضواؤها تحيل المكان إلى مهرجان من الألوان الحمراء والزرقاء..

وسمع من يقول له:

- «هية!.. أنت يا سيد.. لابد أنك رأيت ما حدث..»

ابتلع (إيجور) ريقه وغادر مقعد السائق؛ ليواجه الشرطي..

وفي صوت مبحوح غمغم:

- «كان يقود بتهور غيرعادي.. لابد أنه كان ثملًا..»

قال الشرطي وهو يخرج مفكرة من جيب قميصه الأزرق:

- «نريد عنوانك ورقم الهاتف.. ربما احتجناك شاهدًا على هذا الحادث..»

* * *



أدار (إيجور) مقود سيارته ليعود بها إلى مكان الحادث . .

عندما طلع النهار كان (إيجور) منهمكًا... راح يحزم حقائبه في الفندق.. لقد انتهت اللعبة عند هذا الحد.. سيعود إلى (مانهاتن) اليوم ويقول للنجرال (فرايدمان) إنّه انتهى.. لقد قام بما يريدون منه.. وهذه اللعبة خطرة.. خطرة تحرق أنامل اللاعبين غير المحترفين..

ألم تحرق المحترفين أنفسهم حتى صاروا رمادًا؟!

إنها ليست لعبته.. وهو لم يحبّ قتل هذين السوفتيين.. لقد كانا مواطنين يعملان من أجل وطنهما.. إنهما (شهيدا حرب) مهما كان رأي الجنرال في هذا..

إن ما حدث أمس لهو......

فرعات على الباب....

احتبس الهواء في صدره.. اتجه ببطء نحو الباب وأنصت السمع فلم يسمع شيئًا.. أنصت (الفكر) فعرف أنّ هناك ثلاثة رجال مسلحين...

وكانوا يفكرون بالروسية!

* * *

مرّت لحظات توتر ثقيلة.. بعدها سمع من يناديه على الجانب الآخر من الباب بإنجليزية غير خالصة:

- «جسبادين (تاركوفسكي).. أنت هنا.. أليس كذلك؟»

- «مـ.. من أنت؟»

لكنه كان قد عرف...

كان هذا هو (ديمتري كالينين) ومعه رجلان من السوفييت المقيمين في الولايات المتحدة.. (ديمتري كالينين) هو واحد من عتاة ثعالب المخابرات.. مثله مثل (زاروف)..

عرف (إيجور) كذلك أنهما لم يأتيا لقتله أو خطفه.. بل جاءا ليقدما إليه (عرضًا لا يمكن رفضه)...

هذا غريب.. كيف عرفوا مكانه؟ وبهذه السرعة؟

المهم أنه فتح الباب..

لا يدري لماذا تذكر موقفًا سابقًا له مع رجلى المكتب الفيدرالي حين جاءا غير مدعوين إلى شقته في (مانهاتن).. لكنّ

السوفييت يأتون نهارًا.. ليسوا كالأمريكان إذن..
فتح الباب ولا يدري لما فتحه...
كان يريد الانتهاء من كل هذا سريعًا....

*   *   *

إن (ديمتري كالنين) رجل قصير القامة بشوش الوجه وديع كالأطفال.. ومعه شابان شديدا الوسامة والأناقة هما أقرب إلى ابنين بارين له منهما إلى رجلي مخابرات..
قال (كالينين) وهو يتخذ مجلسًا:
- «نحن لن نعطلك كثيرًا يا (جسبادين تاركوفسكي).. أنت تعرف بالطبع عمل

رجال المخابرات وقدرتهم على......»

ثم نظر إلى الشابين متسائلًا..

كان كلاهما عاكفًا على مسحِ كل ركن من الحجرة بجهاز في يده بحثًا عن أجهزة تنصت.. وحين فرغا هزّ كلاهما رأسه أن الغرفة نظيفة فلا خطر هنالك..

عاد الرجل يواصل حديثه:

- «.. أنت لا تعرف أن (زاروف) لم يمت في الحادث.. فقط أصيب بعنف.. لكنه أخبرنا بكيفية إصابته.. هيه!.. اجلس يا (إليوشا) فأنت توتر أعصابي.. الحكاية يا (إيجور) هي أننا عرفنا كل شيء عنك من محضر الشرطة.. كنت هناك وقد عرفنا سيارتك.. وبالتالى وصلنا إلى هذا الفندق.. أنت غير محترف يا سيدي، لهذا لم تغير

اسمك ولا بياناتك في المحضر.. وقد بدا لنا الأمر مألوفًا لأننا نعرف الكثير عنك.. هناك من يدعى (إدوارد مالكولم) يحتفظ بسجلات كاملة عن الموهوبين أمثالك.. هذه البيانات لدينا ونعرف كل شيء عن فريق الـ Espers الخاص بكم.. وكنا نفكر في تجنيد بعضكم.. ما رأيك؟ ليس عملًا رديئًا بالنسبة لعشر ساعات.. أليس كذلك؟»

في صدق غمغم، (إيجور):

- «بـ.. بلى..»

أردف (ديمتري كالينين) بنفس الرقة والتهذيب:

- «كان (بوريس بودونسكي) عضوًا نشطًا خدم الحزب بإخلاص.. لكنه قد

مات.. ونحن - معشر السوفييت ـ قوم عمليون يا (إيجور).. لهذا جئت اطلب منك أن تكون عضونا الجديد.. صبرًا! لا تنفعل.. إن وضعك بالذات يا (إيجور) يجعل منك عضوًا فريدًا.. فأنت نفسك عميل للـ CIA»

ثم نظر إلى الرجلين متسائلًا:

- «من القائل: إن خير جاسوس لك هو الجاسوس عليك..؟ أتراه (خارين)؟!»

قال أحد الرجلين مصححًا:

- «(كالنشوف)..»

ـ «آه.. (كالنشوف) صديق (بيريا).. لهذا - ترى - يا (إيجور تاركوفسكي) أنك ستقدم لنا خدمة غير مسبوقة.. وكل ما عليك هو أن تقرأ أفكار زملائك.. ثم تنقلها

لي بقدرتك على (التخاطر).. هذا سهل وخال من المجازفة..»

للمرة الأولى قال (إيجور) جملة كاملة وسط كل هذه الثرثرة التي غمرته كسيل:

ـ «وماذا يجبرني على خيانة وطني؟»

ـ «أولًا: أنت لست أمريكيًا.. أنت بولندي... أي من (لحمنا ودمنا).. أنت رجلنا بشكل ما.. والأمريكان لم يكفوا عن اعتبارك بولنديًا لحظة.. فلماذا لا تكون كذلك؟»

وغمغم في ثقة:

ـ «كل الملفات التي سهرت عليها البارحة تقول إن مشكلتك هي الاغتراب في المجتمع الأمريكي.. فلماذا تكابر؟»

ثم أردف وهو يخرج علبة تبغ من جيبه:

- «ثانيًا: لنكن عمليين.. أنا أعرف أنك تعاني من نوبات صرعية متكررة.. لقد صادفنا نوبات كثيرة كهذه مع ذوي الإدراك الفائق للحواس..، وقد تمكّن أطباؤنا من السيطرة عليها باستعمال عقار معين، ومن دون هذا العقار يؤسفني أنك تدنو من نهايتك بخطى حثيثة.. وعندما تموت سيقول الأمريكيون: خسارة..! لقد مات البولندي، ثم يعودون إلى حياتهم بـ (براجماتية) يحسدون عليها...»

- «أنت تكذب..»

- «يمكن طبعًا أن تعرف ما إذا كنت كاذبًا أم لا..»

وكانت هذه هي الحقيقة.. كان الرجل يقول الحقيقة.. إنهم يملكون هذا العقار

الثمين حقًّا..

وكأنما شعر الرجل بأن (إيجور) قد تحقق من صدقه؛ عاد يقول في ثقة:

- «أمّا عن الشيء الأهم الذي أقدمه لك.. فهو أن رجالنا يعرفون على وجه اليقين مكان (سيدلتز جابلر)! الوثائق التي وجدناها في (برلين) تؤكد لنا مكانه.. ولا داعي لأن أقول: إن الأمريكان يخدعونك بتقنية السلحفاة والجزرة.. إنهم لا يعرفون شيئًا على الإطلاق..»

للمرة الثانية عرف (إيجور) مذهولًا أنّ هذه هي الحقيقة.. إن الجنرال (سيدلتز جابر) يعيش متخفيًا في (بوليفيا).. ولكن (كالينين) لا يعرف المزيد عنه..

قال (كالينين) وهو يخرج لفافة تبغ:

- «بالطبع لم أسمح لنفسي بمعرفة ما هو أكثر من رجالنا في (موسكو) لأنني لا أنوي أن أكشف لك السر إلا بعد ما تقدم لي دليل نشاطك.. إنّه نوع من.. من.....»

- «تقنية السلحفاة والجزرة..»

قالها (إيجور) في إحباط.. فهتف الرجل في حماس:

- «خاراشو!.. خاراشو!.. [حسن.. حسن].. أنت تفهمني جيدًا.. هكذا يعمل المرءوسون لرئيسهم.. وهكذا يطلب الرجال الزواج من النساء.. وهكذا يعمل جهاز المخابرات الجيد.. باني مابيتى؟ [هل تفهمني؟]. غير أن جزرتنا نحن جزرة حقيقيّة!»

عواصف كثيرة اجتاحت ذهن (إيجور) وهو يرمق هذا الرجل الودود اللعين.. إن عرضه مغرٍ إلى حد كبير.. لكنه ينسى بغباء أن وطن المرء هو حدود ديار أحبابه.. و(إيجور) يحبّ (لارا).. الآن فقط يعرف هذا.. ثم إنّه يمقت الروس.. ألم يكونوا هم حلفاء (هتلر) في غزو (بولندا)؟...

ولكن.. إنهم يقدمون له رأس (سيدلتز جابلر) على طبق ذهبي..

هل يقبل؟ هل يأبى؟

ولو أبى.. هل يتركه هذان الشابان الوسيمان حيًا؟

ولو قبل.. كيف يمارس مهام عمله الجديد؟ وبأي وجه؟

كان لا يزال واقفًا جوار الباب...
تائهًا في مستنقعات ذاته.. حيث ضباب الحيرة وتماسيح الشك.. والحاجة إلى قرار....

* * *

في الجزء الثالث والأخير - إن شاء الله ولم أمت أنا (رفعت إسماعيل) الذي يروي لكم هذا ـ نعرف ما حدث.. ونشهد اللقاء الذي تأخر أكثر من اللازم بين الفتى وبين الجنرال...
لن أترككم تنتظرون كثيرًا؟

د. رفعت إسماعيل

القاهرة

[تمت بحمد الله]

رقم
الإيداع:
١٦٠٦

المطبعة

العربية
الحديثة
٨ و١٠ شارع ٤٧
المنطقة الصناعية
بالعباسية
القاهرة ت:
٢٨٢٣٧٩٢ -
٢٨٣٥٥٥٤

الفهرس

ما وراء الطبيعة

روايات تحبس الأنفاس
من فرط الغموض والرعب والإثارة

روايات مصرية للجيب

أسطورة الجنرال العائد

القدرة على اختراق عقول الآخرين .. هذه معجزة ..
الحياة فى ضوضاء لا تنتهي من الأفكار .. هذا كابوس ..
التورط في تروس آلة المخابرات التي لا ترحم .. هذه كارثة ....
أن تكون أنت بالذات من نتحدث عنه .. تلك مأساة !



د. أحمد خالد توفيق

العدد القادم:
أسطورة المواجهة



الثمن في مصر
وما يعادله بالدولار الأمريكي
في سائر الدول العربية والعالم

Notes

[←1]
Biofeed - back

[←2]
أحداث القصة خياليّة طبقًا.. لكنّ ما سنذكره هاهنا حقيقي تمامًا.

[←3]

«من فضلك يا رفيق.. لا!» «أنا لا أفهم.. ماذا تقول؟»